PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

صفیم ابوشادی

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية
٥٠٩٧ / ٣١ / ١٠٠٠٠

رواية

قمبيز

Shawqi

تأليف

احمد شوقى بك

تمثل لاول مرة فى مسرح رمسيس فى ديسمبر سنة ١٩٣١

(RECAP)
PJ7862
.H3Q3
1930z

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY PAIR>
32101 009617844

باسم حضرة صاحب السمو الملكي
الأمير فاروق ولي عهد الدولة المصرية

أهدي هذه الرواية وأسأل الله أن يوفق الأمير الكريم
كما وفق آباءه العالين الى النهضة بالفن في مصر حتى يعود كما
بدأ بنجبة ناهرها الفاخر وجوهرة عرشها المجيد

احمد شوقي

MS 2251 1131

تمهيد

زمن الرواية : القرن السادس قبل الميلاد

مكان الرواية : مصر { منفيس عاصمة مصر
صالحجر مقر البلاط

فارس سوس عاصمة الفرس

أشخاص الرواية :

أمازيس	فرعون مصر
بسامتيك	ابن أمازيس وولى العهد
نفريت	ابنة أمازيس
نتيتاس	ابنة فرعون أبرياس المقتول
قمبيز	ملك الفرس
تاسو	حارس فرعون
تتى	وصيفة الملكة نيتتاس
فانيس	كان قائداً فى الجيش المصرى ثم التحق بالجيش الفارسى

(تابع أشخاص الرواية)

رجال الوفد الفارسى

رجال البلاط الفرعونى

قواد
جند
} من الفرس

ساحر
راقصات
أقزام
نوب
حُجّاب
خدم
} مصريون

الفصل الأوّل

المنظر الأول

بالقرب من غرفة فرعون امازيس الخاصة تاسو حارس فرعون الاميرة نفريت ابنة الملك

تاسو : نفريت ؟

نفريت : تاسو ههنا ؟

تاسو : وهل أُرى الا هنا ؟

أحومُ حول صنمى وحول هذى القَدَمِ

نفريت (وتنظر الى رجلها) :

حول رجلى أنا ؟

تاسو : أجل حول هذا الشَّهْدِ والزَّبْدِ والنميرِ الصافى

ما بكِ يا نفريتُ ما هذا الأسى ؟

ما بالُ عينيكِ تريدانِ البكا ؟

نفريت : تسألنى ما بى ألم تعلم بما

جرى ويجرى من فجائع القضا

تاسو : ماذا جرى ؟ ماذا لقيتِ ملكتى .

من القضاء مُهْجتى لكِ الفِدا

نفريت : كيف لقد كان حسابى أننا بخِطْبَةِ الفُرْسِ تحطّمنا معا

تاسو : اذن فهذا الغمّ من جرّائها ؟

وأنتِ تخشَيْنَ الرحيلَ والنوى ؟

نفريت : وأنتَ يا تاسو ألم تحزنْ ؟

تاسو : أنا أحزنُ ياسلطانةَ الفُرْسِ أنا؟

لقد وددْتُ لو مَلَكتِ كلَّ ما

دبَّ على الأرض وطار فى السما !

نفريت : وفُرْقتى تاسو ألم تحزنْ لها ؟

تاسو : ولِمْ وفى الفرس يكون الملتقى

نفريت : فى فارسٍ ! فى قصر زوجى نلتقى ؟

يا عجبـــا ماذا تقـولُ يا فتى

تاسو : لِمْ لا أليس فى القصور سَعَةٌ ؟ نحن هناكَ مثلُ ما نحن هنا

نفريت : هذا الغباء منكَ تاسو عجبٌ ليس المكانان على حدٍ سَوا

هنا أبى اذا بكَيْتُ رقّ لى وان شفعتُ لكَ عنده عفا

تاسو : وثَمَّ ؟

نفريت : وحشٌ فى إهاب بَشَرٍ يقتُلُ من يَلقى

تاسو : أمونُ نجّنا!

وماذا اعتزمتِ ؟

نفريت : اعتزمتُ البقاء بمصرَ وفى ظلّ هذى الحُجَرْ

و بالقُرْب منكَ ومن والدىَّ ومن إخوتى وذوىَّ الأُخر

و بين وصيفاتىَ المُشْفِقاتِ ومن لاذ بى من بنات الأسر

تاسو : ولـكن تُرى كيف تجرى الأمورُ

اذا علمتْ فارسٌ بالخـــــبر

وقيل لقمبيزَ فرعونُ خالفَ وابنـةُ فرعونَ لم تَأْتمِر

نفريت : ليجرِ بما شاء تاسو القضاء ليجرِ بما شاء تاسو القَدَر

لتُخْسَفْ بقومٍ عليها البلادُ ليستأْخِرِ النيلُ أو ينفجِرْ!

فأما أنا فبـأبقى هنـا وان غضِبَتْ فارسٌ والنمرْ

فما الفرسُ لى بالصحاب الكرام
ولا لىَ فى مُلْكهم من وَتَرْ

« تدخل الأميرة نتيتاس »

نفريت : من المُفاجِى نتيتا ؟

نتيتاس : نفريتُ تاسو سلامُ

نفريتُ أصغى لقولى فلى اليك كلامُ

نفريت : تكلمى واقتصدى

نتيتاس : ولم أزل مقتصِدَهْ

نفريت : أتيتنِى شامِتَةً

نتيتاس : لا بل أتيتُ مُسْعِدَه

آمون قد مدَّ اليك والى الوادى يده

وقد كفى مصرَ البلاء والخطوبَ المُرْعِدَه

وكفَّ عن ربوعنا نارَ المجوس الموقَدَه

نفريت : وكيف نتيتاسُ ماذا ما الخبرْ ؟

كيف جرى غيرَ مجاريه القدرْ ؟

تاسو : ما الأمر يا سيدتى ؟

نتيتاس : وأىُّ شأنٍ فيه لَكْ
ان الذى عندَىَ لا يُقـــال إلا للملِكْ

نفريت : عجِّلى إذن * قابلى أبى * أسرعى الخطى * اذهبى اذهبى
واسألِيهِ ما * شئتِ واطلبى

نتيتاس : ما ذاك ما ذا تقولينَ فكّرى يا نَفَرْتُ
ما جئتُ أطلبُ مالاً ولا لهذا حضرتُ
ولا بشأنك يا بنتَ آمازيس افتكرتُ

نفريت : ففيمَ إذن جئتِ يا نتيتاسُ وفى أىشأن ثقلتِ القَدَمْ؟

نتيتاس : أتيتُ لمصلحة الآخرين وجئتُ لشأنٍ جليل العِظَمْ
أتيتُ لأفدى بنفسى البلادَ وأدفعَ عن مصر شرَّ العَجَمْ
فانكِ ان ترفضى يزحفوا كزحفِ الذئاب ونحن الغَنَمْ
فاين أبوك ؟

نفريت : تُلاقينهُ هنالك فى حجرات الصَنَمْ

نتيتاس : سأمضى اليه

«نفريت بتهكم» : اذهبى

تتيتاس : أفدى البلادَ نعم أنا افدى بلادى نعم (تخرج)

نفريت : يا ويحَها قد ذهبتْ دعنىَ تاسو وأذهبِ

« يخرج تاسو »

« يدخل فرعون الى غرفته الخاصة وهى عبارة عن حجرة صغيرة أرضيتها من الخشب الملون وفيها بضعة كراسى خفيفة الوزن لطيفة الصنع وفى زواياها الاربع تماثيل للآلهة المصرية ، فرعون أمازيس وابنته نفريت مقبلة عليه »

نفريت : سلامٌ يا ضُحى الشمسِ ويا غُرّةَ آبيسِ

ويا حامىَ سايبس ويا حارسَ منفيسِ

فرعون : سلامٌ شِبهَ هاتورٍ سلامٌ شبهَ ازيسِ

نفريت : ابى بل نادنى يا بنـ تَ فرعونَ أمازيسِ

فرعون : تعالَىْ أقبلِى يا بنـ تَ فرعونَ أمَازيسِ

وفى أىّ جليلٍ أو صغيرٍ يا تُرَى جئْتِ

تعالَىْ يا بُنَيّتِى قولِى سَلِى فرعونَ ما شئْتِ

نفريت : أبِى . كُنْ لى فقد أظلمتِ الدنيا بعينيّا

فرعون : سأجْلُو ظُلمةَ الدنيا والمحوها بكفيَّا
« تغرْوَرَق عيناها بالدموع »

بِنْتَاه

نفريت : ربَّاهُ أبِى

فرعون : ما للأميرةِ باكيَه ؟
هَلاَّ ادَّخرتِ لمصْرعِى هذى الدموع الغاليَه

نفريت : لا بل تعيشُ أبى وتبْـــقَى فى ظِلالِ العافيه
أبتى تهيَّأَ كلُّ شى ءٍ للنوَى المُتَراميَه
فغداً تضُمنىَ القصورُ بل القبورُ الجافيه
فى ألفِ جاريةٍ لقمبيـ ـزِ هنـــاكَ وجاريه
من كل مُرسَلةٍ هنا لكَ كالبهيمةِ ساليَه
فبأىِّ قلبٍ يا مليكُ تزُفُّنى للطاغيَهْ
أدركْ فتاتَك قد ضعُفْـــتُ عن احتمالِ الداهيَه
« تدخل نتيتاس على فرعون أمازيس فتخرج نفريت »

فرعون : مَن أرى ؟ إنه لحظٌ عظيمٌ نِتَتاسُ بنتُ الفراعين عندِى

تتيتاس : التحايا لعرش مصرَ المُفدّى من أبى ساكنِ السماء وجدّى

فرعون : وسلامٌ الذى على عرش مصرَ لا تؤدينه ؟

تتيتاس : وكيف أؤدى ؟

ليس بينَ ابنةٍ وساقى أبيها غصة الموتِ من سلامٍ وردِّ

إن حقدى عليك دَيْنٌ وبِرٌّ ربّ لا يَذْهبِ العقوقُ بحقدِى

فرعون : احملى الحقدَ لى أو اطّرحيه وتمنَّىْ علىّ جاهى ورِفدى

اسألى تسألى أباك

تتيتاس : معاذ الـ ـدمِ فرعونُ ليس دنياكَ قصدى

فرعون : فيمَ قد جئتنى إذن ؟

تتيتاس : فى حقوقٍ لدِيارى وواجبٍ نحو مَهدى

كلُّ عامٍ صبيةٌ من بنات الـ شعبِ

تختارُ للفداء فتفدِى

تنزِلُ النيلَ غيرَ عائفةٍ ما فيه للموتِ من حياضٍ ووِرْد

سمحتْ بالحياةِ فى غيرِ سأمٍ

وسَخَتْ بالشباب فى غيرِ زُهدِ

تبتغى الخِصْبَ والرخاء وتحتـــــال لعيشٍ بنعمةِ النيلِ رَغدِ
سقتِ الناسَ بعدَها لم تقُلْ قو لَ الأمانى يهلكُ الناسُ بعدى

فرعون : قد عرفنا فهل تريدينَ منا أن تكونى التى تزُفُّ ونُهدى

تيتاس : تلك مدفوعةٌ يقدِّمُها الـكُهَّا نُ

لكننى تقدَّمتُ وحْدِى

«مستمرة: جئتُ أفدى وطنى من سيفِ قمبيزَ وناره
جئتُ أفدى وطنى من دَنَس الفتحِ وعاره

فرعون : ما ذا تقولين فيمَ جئتِ ؟ قمبيز؟ الفتحُ؟ مصر؟ فارس؟

تيتاس : نفريتُ تأبى المسيرَ هب لى مكانَها منك يا أمازسْ

فرعون : أنتِ التى تذهبين ؟

تيتاس . لم لا؟

فرعون : هذا هو النَّبلُ يا نتاسْ

بخٍ بخٍ بنتَ أخى

تيتاس فى استنكار : أنتَ يا قاتلَ : عمِّى ؟ ؟

لا . . أبِى يأبَى وأمِّى

فرعون : لا تدفعى نَتِيتَ بى ولا تهيجى غضبى

نتيتاس كالمستهزئة : تقتلُنى مثلَ أبى

« تظهر نفريت بالباب »

فرعون : من ذا أرى ؟ نفريت . هىِّ ادخلى لا تقف الأقارُ بالبابِ

نفريت : تحيةُ الشمسِ لسارع أبى تحيةُ المعبودِ آمونِ

فرعون : أتيتِ لِوَفْقِ الأمرِ نفريتُ أقبلى

تعالَىْ أنبئكِ الجليلَ تعالِى

نفريت : أبى لا جليلَ اليوم إلا مُصيبتى

فرعون : ولكنّها قد آذنتْ بزوالِ

نفريت : وكيف وأنّى ؟

فرعون : أنظرى مَنْ بمجلسى وأىُّ رسولٍ للسماءِ حيالِى

إلهٌ لعمرى فى قميصِ أميرةٍ سعى لكِ يحبوعونَه وسعى لى

نفريت : نتيتاسُ اختى ؟

نتيتاس لنفسها : أُختُهَا ما أضلَّها متى كان بيتى مجرمينَ وآلِى

« نفريت لأبيها بعد أن سمعت نجواها : »

أبى ألهذا تجمعُ اليومَ بيننا وما لابْنَةِ المَلْكِ القديم ومالِي

فرعون : لقد بَعَثَتْها الشمسُ من عرشِ مجدِها
شعاعَ هـدًى من حَيْرَةٍ وضـلالِ
تُزَفُّ إلى قمبيزَ فى موضع ابنتِي
وفى موكبٍ من وَفـدِه ورجالى

نفريت : نتيتاس

فرعون : قولى بنتَ فرعون

نتيتاس : أَعْفِها

نفريت : ولِمْ

نتيتاس : ذاك عهدٌ يا أميرةُ خالِ
فلا يستوى المُلْكُ القشيبُ جـلالُه
وآخرُ مخلوعُ الجـــــلالةِ بالِ

نفريت : أحقٌّ نتيتاَ ما رَوَى المَلِكُ

نتيتاس : ما رَوَى أبوكِ صدَى صوتى ورجْعُ مقالى

نفريت : رويداً نِتيتاَ راجعى الرشـدَ إنّما
تُضحّين يا أُختِي بأنفسِ غالِ

تُضحّين بالدنيا الجميلة والصِّبا وهذا الفضاء السافرِ المُتَلالى

أحقٌّ عقدتِ العزمَ؟

نتيتاس : بعد رويّةٍ وأقنعتُ نفسى بعدَ طولِ نضالِ

ومالىَ لا اعطِى الحياةَ إذا دعتْ

بلادى : حياتى للبلادِ ومالِى

« ستار »

الفصل الأول

منظر (٢)

« حجرة عظيمة فى قصر فرعون — وفد من الفرس ينتظر »
« رسول الملك أمازيس ، هناوهناك فى الحجرة نفر من حاشية فرعون »

رئيس الوفد: لقد جُلتمو فى بلدةِ العجلِ جَوْلةً
وما بَرِحتْ بالزائرينَ تُجابُ

فكيف وجدتم قوم فرعون
أمةٌ

قباذ :
إذا هى قيستْ بالشعوب عجابُ

لهم مثلَ ما للأُسدِ بالجنسِ عِزَّةٌ
ضوارى الفلا عندَ الأسودِ كلابُ

هم الشُّهْبُ والناسُ الجنادلُ والحصى
وتِبرُ الثَّرَى والعالَمُون تُرَابُ

وكلُّ الذى صاغوا من الفنِّ آيةٌ
وكلُّ الذى قالوا هُدًى وصَوابُ

الرئيس : خطبْنا اليهم أمسِ بنتَ مليكِهم
فما كان إلا الاحتقارَ جوابُ
وأشفق أهلوها وقالوا حمامةٌ
دعاها الى الوَكْرِ السحيقِ عُقابُ

« ثم يعرض ببصره رجال القصر من المصريين »

تأمَّل (قباذُ) القومَ وانظر وجوهَهم
وجوهٌ عليها للهموم سَحابُ
ألستَ تراهُم كلّما نقّلوا الخُطى
لهم جِيئةٌ من ريبةٍ وذهابُ

قباذ : ولكنهم ما قصَّروا عن ضيافةٍ
طعامٌ ونُزْلٌ طيّبٌ وشرابُ
وخمرٌ قِنيقيٌّ بأيدى سُقاتِها لها نفحةٌ مِسكيّةٌ وحُبابُ
وماذا علينا أن تضيقَ وجوهُهُم
إذا لم تَضق ساحٌ لهم ورحابُ

« وعلى أثر ذلك يخاطب رجل آخر من الوفد صديقا له فى »
« ناحية أخرى من الحجرة وكان عائداً هو أيضاً من المدينة »

الرّجل : زفيروسْ . من أينَ ؟

زفيروس: من جو لة بمنفيس

الأول : كيف وجدت البلدْ؟

وكيف احتقارهمُو للغريبِ إذا قام فى شأنه أو قعد

وكيف عيونهمُو حولهُ إذا حملته احتمالَ الرّمد

زفيروس: وجدتُ وجوهاً عليها النعيمُ ودُنْيَا على جانبيْها الرّغدْ

وسُوقاً تُفَضُّ وسُوقاً تُقامُ وخَلقاً يروحُ وخلقاً يَفد

وشعباً على خُطةٍ فى الحياةِ ونَظْمٍ بِهِ فى الشعوبِ انفرد

ولم أرَ مثلَ صناعاتِهم سُمُوّا وبُعدًا على المنتقِد

ولا مثلَ أخلاقهم مبلغاً

من الفضل أو من خلال الرَّشَد

إذا مرّ يافِعُهم فى الطريق بشيخٍ تنحَّى له أو سجَدْ

الأول : تباركت النارُ كلتَ المديحَ لمصرَ جُزافاً ولم تقتصِدْ

زفيروس: أخِى ما الذى أنت ناعٍ علىَّ وما قلتُ إلا الذى أعتقد

الاول مبتسما :

لقد سَحَرتْ مِصرُ الفارسىَّ ويا طالما نفثتْ فى العُقَد

ولكن زفيروس كيف الجنودُ
وكيف الحديدُ وكيف الزّردْ
وهل كنتَ تلقاهُمو فى الطريق
وتنظرُ أظفارَهم واللّبدْ

زفيروس: أخى مارأيتُ بمصرَ الجنودَ ولم يأخذِ العينَ منهم أحد
سوى فتيةٍ من جنود القصورِ وضباطِها فى الثياب الجُدُدْ
يروحونَ فى الخُوَذِ اللاّمعات
ويغدون فى الذهبِ المتقّد

الأول: إذن هو مُلكٌ بلا حائطٍ رقيق الأواسى ضعيف العَمَد
خلا الوكرُ من صرخات العُقا
ب ونامت عن الغابِ عين الأسدْ
أولئك لا فى حماةِ الديارِ ولا فى العديد ولا فى العُدَدْ
طواويسُ فى عرصاتِ القصورِ
تروقُ تهاويلُها من شَهِد
ولا يُعجبنّك سلمٌ يرِفُّ وخيرٌ يفيضُ ومالٌ لُبَدْ

وآثارُ فنٍّ تروعُ العقولَ وأجسادُ موتى تعيش الأبد
فما أنتَ راءٍ سوى جنةٍ هى الخُلْدُ أو طيفُه فى الخَلَد
يَهُبُّ عليها غداً عاصفٌ من الفرسِ أنّى تمشَّى حَصَدْ

ثالث متدخلا : صدقتَ أخا الفُرسِ قلتَ الصواب
غداً يعصفُ الفُرسُ أو بعد غَدْ

احدهم لآخر : أعلمتُم ماذا يُرَدِّدُ فى القصـ ـرِ وماذا يقالُ همساً ووحْيَا

الثانى : مايقولون هات قلْ

آخر : كيف صِدتَ السرَّ فى القصر كيف صدتَ النَّجِيَّا
هاتِ قل ما بأرض مصرَ عجيبٌ
مصرُ دنيا وسائرُ الأرضِ دُنيا

الأول : هم يقولون إن بنتَ أمازيسَ عروسَ المليكِ تأبَى المُضِيَّا

الثانى : هازلٌ أنتَ ؟

الأول : بل سمعتُ حديثاً إن يكُن مُفتَرًى فماذا علياً؟

آخر : إنه يَهْذِى دعوهُ كاذبٌ لا تسمعوه
ما الذى زخرَف

الثالث : ألقى كِذبةَ الأجيال فوهُ
يزعم المُلْكةَ نفريت ابنةَ الملكِ أمازسْ
ترفُضُ السيرَ مع الوفدِ إلى أقطارِ فارسْ

آخر : ما خطبُهُ ما يدَّعى ؟ امض بنا لا نسمعِ

آخر يقول فرعونُ مِصرَا لم يرض قمبيز صِهْرَا

الثانى : مَنْ أمازيس ما الأميرةُ
ما مصرُ أفى الأرض من بقمبيز يهزا
أهذا خبرٌ يُروى غَبِيٌّ أنتَ والله
أتحتَ القُبةِ الزرقاءِ من يسخَرُ بالشاهِ

الأول : اعزبوا ما لكم ولى قلّلُوا الشتمَ والسُّخَرْ
ما الذى قد أتيتُه ناقلُ الكفرِ ما كفر
خبرٌ قيلَ قد يصِحُّ وقد يكذِب الخبرْ

أحدهم : يا صحبُ كيف تُرى تقضون ليلكمو
وكيف نومُكمو فى هذه الدار

آخر : أمّا أنا فإذا استلقيتُ طوّفَ بى
شتّى الخيالاتِ من سحرٍ وسحّارِ

وأنت ؟

الأول : يغشى الكرى عينى فيصرفُهُ
عنها خيالُ تماسيحٍ واثوارِ
من التّوابيتِ حولى كلُّ منتقلٍ
بغير رجلٍ ولا ساقينِ دوّارِ
يُجيلُ من خلفِها الأمواتُ أعينَهم
كأنها فى الدُّجَى أحداقُ أنمارِ

ولا تزال بى الأرواحُ طائفةً مناجياتٍ بألغازٍ وأسرارِ

آخر : أمّا أنا فإذا ما جئتُ مُضطجعى
عوّذتُ نفسيَ قبلَ النوم بالنارِ
فلا يطوفُ من الأرواحِ بى شَبَحٌ
من خيّرينَ وإن جلّوا وأشرار

آخر : هيُّوا اسمعوا ما رأيتُ أمسِ

آخر ما ذاك ؟

الأول : صَهْ

تكلَّموا بهمسِ
رأيتُ عصفورًا برأسِ إنسِ
أقبلَ حتى صار عند رأسِي
فما ملكتُ عندَ ذاك حِسِّي

آخر : ثُمَّ ؟

الأول : صحوتُ فوجدتُ نفسِي منطرحا أغط فوقَ كرسِي

آخر : وأنا :

ثان : أنتَ مارأيت؟

الأول : أعجَبَا مما رأى صاحبُكم وأغرَبَا
رأيتُ أبيسَ أتى مضاجعى فهزَّهـــا بقرنهِ وقلَّبَا
ثم رأيتُ

الثانى : مارأيتَ ؟

الأول : حدقا تقلَّبتْ فى الليل تحكِى اللَّهبَا

آخر : ثُمَّ؟

الأول : وقال العجل أنتم فارسٌ؟ قلتُ نعمْ. فقال لى لا مرحبا

آخر فى دهشة : يا عجبا العجلُ قد كلّمه يا عجبـــــا

يدخل تاسو حارس فرعون :

تاسو : أيّها الوفدُ سلامٌ لكمُو بنتُ فرعونَ ستأتى بعدَ حينْ

تتلقّاكم بما يَزْكُو بكم من تحايا وتُجيبُ الخاطبينْ

رئيس الوفد: أيها السّيد تاسو أذنُ منا مرحَبا بكْ

غِبتَ عنا زمناً حتى اغْتَمَمْنَا لغيابكْ

لم تَسَلْ عنا ولم تبـــعثْ رسولاً من صحابكْ

تاسو : يا كبير الوفد هذا الـ عطفُ قد أثَّرَ فِيَّا

أنتَ لا تجهلُ من أنظمةِ الدّيوانِ شَيَّا

شرَفُ الخدمةِ لا يجعلُ وقتِى بيدَيَّا

فارسىٌّ لآخر بصوت منخفض :

تاسُو؟ ! ومَن تاسُو؟

الآخر : فتًى فى القصرِ مرمُوقٌ جميلْ

نَدْمان فرعونٍ وصا حبُهُ وحارسُه النَّبيلْ
ويَميلُ فرعونٌ إليْ هِ وبنتُهُ أيضاً تَميلْ

حارسان يدخلان فيصيحُ أحدُهما :

الأول : الملكُ فرعونُ سَارَعْ

الثاني يردد: الملكُ فرعونُ سَارَعْ

« يدخل الملك والأميرة نتيتاسُ وكبار الكهنة »
« المصريين فيجلس الملك والأميرة ويقف تاسو »
« وراء الملك ، فينهض رئيسُ الوفد ويقول : »

رئيس الوفد الى فرعون :

بركاتُ السماءِ فرعونَ مِصرا
وسلامٌ من عاهلِ الأرضِ كسرى
رُسلُ قمبيزَ نحن لم نألُ إحسا
نكَ يوماً ولا اهتمامَك شكرا
قد خطبْنا اليكَ زنبقةَ الوا
دِي وأعْلَى عقائلِ النيلِ قدرا

نحمِلُ الشامَ إن أردتَ صداقاً
ونسوقُ العراقَ إن شئت مَهْرَا

ونُزَجّي الكنوزَ من قيمِ الياقو
تِ والدُّرِّ والزُّمُرّدِ تترَى

إنها فارسٌ وإنا لنرجُو
أن سترْضَى بها حليفاً وصِهْرَا

فرعون أمازيس الى تاسو :

قُمْ أجِبْ عنيَ الدهاقينَ تاسُو

تاسو : سيدى من أكونُ ! مولاىَ : عُذْرا

تتيتاس : أبَتِ أعفِهِ

ثم الى تاسو: مكانكَ تاسُو أنا بالفصلِ فى مصيرِيَ أحْرَى

تتيتاس إلى الوفد الفارسى :

مرْحباً وفدَ فارسٍ رسُلَ قمبيزَ مرحبَا
قد تأخرتُ عنكُمو وأطلتُ التحجُّبَا
ونَهَانِي مُطَبِّبِي فسمعت المطبِّبَا

خبّأوني لوَعْكَةٍ ومن البردِ يُختبَا
لم ير الناسُ صاحباً كالعوافي محبَّبَا

رئيس الوفد: أشكرى الله يا بنْتى واذكرى فضلَ ما حبا
كم سألنا فجاءنا بالذى طمأن النبَا

أمازيس الى تاسو بصوت منخفض :

ما لَها تاسُ أطنبتْ ولذا الشيخِ أطنبَا
تركا خِطبةَ الزَّواجِ وقامَا ليخطُبَا

تتيتاس بصوت منخفِض وقد سمعت ما دار بينهما :

ما الذى ساء والدِى من كلامِى وأغْضَبَا
ما لِفرعونَ ساخطاً ولِتَاسُو مُقطِّبَا

فرعون بصوتٍ منخفض :

اجْعَلِى القصد يا بنَتِى للئِ فى القولِ مذهبَا

تتيتاس للوفد: قد دعوتم أبِى لِمَا يرفعُ البنتَ والأَبَا
إن فرعونَ كوكبٌ صاهرَ اليومَ كوكَبَا
اذكرُوا لى مُقامَكم أتُرى كان طيِّبَا

أيها الوفدُ قلَّمَا صاهرتْ مصرُ أجْنَبَا
مرحباً وفدَ فارسٍ
شَبِعَ الوفدُ مرحبَا

الملك بصوت منخفض :

نتيتاس : أنا إن عشتُ شِدتُ لا نارِ بيتاً مطنَّبَا
فى عيونِ الوهادِ مِنْ فارسٍ أو على الرُّبَا
كلما لاحَ ضوءه هزَّتِ الأرضُ مَنكِبَا

رئيس الوفد: هَلُمِّى باركى يا نار على بنتِ الفراعينِ
ويا فارسُ هاتوا الغارْ وجيئوا بالرياحينِ
وحيُّوا زوجةَ الجبَّارْ على كل السلاطينِ

« وينثر الفرسُ الرياحين على الأميرة نتيتاس وهم يتغنون »

الكهنة المصريون يتغنون :

آمونُ قم شاركْ فرعونَ فى العُرسِ
تعالَ طُف باركْ فى ملكةِ الفُرس

***

نَحِّ الشياطينَ وانفِ العفاريتَ

واحرسْ بعينيْك موكبَ نفريتَ

***

آمون هيَّ اشتركِ في عُرسِ بنتِ الملكِ
وقُم اليها كلِّلِ براحتيْكَ راسَها
واشهد بمصرَ واجتلِ بفارسٍ أعراسَها

« ستار »

﴿ الفصل الأول ﴾

« المنظر ٣ »

« بهو عظيم من القصر زين بالمصابيح البديعة الالوان المصنوعة »
« من ورق البردى وأغصان الزيتون ، وصففت الازهار . . . »
« والرياحين هنا وهناك . وفى ناحية من البهو جوقة العزف من »
« حاملات القيثارة ، والعود ، والناى ، والدف . يموج المكان »
« بأعضاء الوفد الفارسى فى ملابسهم الفارسية الفاخرة وبرجال »
« الحاشية وخدم القصر من الحرس والكهنة كبارهم وصغارهم »
« وفتيان النوبيين ، وقد وقف قهرمان القصر يصرّف الوصفاء »
« والندل ويسخرهم فى شؤون الوليمة . وقد مدت الموائد الفخمة »
« وجعلت عليها الوان الطعام المختلفة من خراف مشوية وباردة »
« وبط صيد ، ومن سمك النيل ، ومن الحلوى بانواعها ، وسلال »
« الفاكهة . ووضعت هنا وهناك أباريق الذهب والفضة المملوءة »
« من عتيق الخمر . يجلس على المائدة فرعون أمازيس وبجانبيه »
« وأمامه كبار رجال الوفد الفارسى وعظماء رجال الكهنوت »
« والدولة . وينتشر الآخرون على جنبات المائدة يتحادثون جماعات »
« جماعات . . . . . »

فارسى لصاحبه :

فيروزُ أنظر ترى الخِرافا حُمراً لطافاً على الخوان

ذا سمكُ النيل فى الأوانى كأنه معصَمُ الغوانى

وأعينٌ تلك فى جُفونٍ أم ذلك البَطُّ فى الجفانِ

فيروز : ذكرتَ كُلًّا ولم تُرحِّبْ بخمر ساموسَ فى الدِّنانِ

وخمرِ فينيقيـــا المصفَّى كأنه ريقةُ الحسانِ

فيروز : وخمرِ مصرٍ فى قصرِ فرعونَ

ثالث : تلك مجهولةُ المكانِ

الأول : فيروزُ دَعْنِي خلِّنى الخمـــرُ ليستْ دَيْدَنِى

من خمرِ أتينـا وسامو سٍ ومصرَ اعفِنِي

الأكلُ يا فيروزُ شغـــلى وبـه تَفَنَّنِي

تشربُ والبطنُ خلِي ؟ يالَكَ من مُغَفَّلِ

كُلْ هيِّ يا فيروزُ كُلِ

هـذا الخوان قد كَمَلْ من كل جانبٍ حَمَلْ

هـذا شُوِى هـذا قُلِى

والبَط فى الأطباقِ بطبَط فى الرقاقِ

من رأسهِ للأرجلِ

ثالث : وهـــذه الإوَزُّ رجْرَاجَةٌ تهـــتَزُّ
قد طُيِّبَت بالتابِلِ

فيروز للاول: أخى كلانا قد صـدَقْ فما لنـــا لا نتفَقْ
آكلُ ماتأكلُ من طعامِ ونَخْتَسِى معاً من المُدام

الثالث : هذا لعَمرى مُحكمُ الكلامِ

فرعون الى رئيس الوفد :
سـيدى لو تقولُ لى كيفَ قمبيزُ والقـدحْ

الرئيس : إن قمبيزَ سيدى ملِكٌ كلُّه مَرَحْ
ليس تخلُو قصورُه من سرورٍ ومن فرَحْ

فارس آخر: لـكن له شُغلٌ عن الخمرِ بطُولِ غَزوتِـه

فرعون : أينَ تُرى يشربُهـا

الفارسى : يشربها فى خوذتِـه
كعبده آبنِ أمَتِـــه

« ويخلع الفارسى خوزته ويصب فيهـا خمراً ويشرب »
« بعض صغار رجال الوفد الفارسى يتحادثون فيما بينهم »

أحدهم : ليتَ شعرى فلستُ أدرى الى أى بلاءٍ قمبيزُ يدفَعُ فارسْ

قد فتحنا الفضاء شرقاً وغرباً ... وملكناه من عُبابٍ ويابسْ
اتسعنا من الفتوح

آخر : يقيناً ... غيرَ انّا لم نفتكر بالحارسْ
خَلِّ « مانى » عنك السياسة دَعْهَا
خَلِّ عنك الفضولَ خَلِّ الوساوسْ

إن شرق البلاد ضيعةُ قمبيزَ ... وغربَ البلادِ حقلُ أمازسْ
سائسُ العالمين أسعدُ منه ... رجلٌ للحمار والبغل سائسْ

ثالث : انظر الحفلَ « بهارٌ » ... استخفته الكؤوسْ

رابع : وفدُ قمبيزَ وهذا ... ملكُ مصرٍ أمازيسُ
ذهبُ الأرضِ عليهم ... غرقتْ فيه الطقوسْ
ساسةُ الدنيا وكلٌّ ... غيرهم فيها مَسوسْ

الثانى : خلّنا بالله من سا ... سَ ودعنا من يسوس
لِمْ نظلُّ الدهرَ مَرْ ... هوسينَ والغيرُ الرئيس
لِمَ « مانى » لا أنا ... رذلٌ ولا أنتَ خسيس

الأول : كلُّ ما أعجبَ كسرَى ... فهو فى الفُرسِ نفيسْ

كلَّ حينٍ حاكمٌ يمشي علينـــــا ويدوس
هكذا يختلفُ الحظُّ ســـــعودٌ ونحُوس
إنَّ بعضَ الناسِ أذنابٌ لبعض هُمْ رؤوس
منزلُ الأُسدِ الصحارَى وعلى المرْعَى التيوس

الأول : لِمَ يا « مانى » يسُودُون ونبقى لا نســـود
ونُقادُ الدهرَ والأخرُ يا « مانى » يقـــود

آخر : يا أخى نحنُ كلانا عاجِزُ الرأيِ بليـــد
هـذه الدنيـا لِمَن يُقدِمُ فيها أو يُرِيد
سـنّةُ الـكونِ وما عن سنّةِ الـكونِ مَحِيد

آخر : أنا يا « مانى » طمـوحٌ أنا لا أكتُمُ عنـكَا
أنا فى الدنيـا وفى زينتهـا أرغبُ منكَا
أنا أهـوَى سَـعةَ العيـــش ولا أرضاهُ ضَنْـكَا

الأول : إرْضَ بمـا كان وما يكونُ أو فانْفَلِق
وهَىِّ نشربُ قَدَحَيْـــنِ أو فَهَىِّ انطلِق

أحدهم : القـدَحَا . القـدَحَا الخمرُ تَنفى التَّرَحَا

قصراً أرى أم فَلَكَا وشجراً أم قُزَحَا[1]
وغادةً تسقِي أمِ الظبْـــيةَ أم شمس الضحى
وخوذا على رؤوس فارسٍ أم الرَّحَـــى
القـــدَحَا القـــدَحَا هاتوا الشعاعَ المُفرحَا
هاتِ السَّنَا هاتِ القَبَسْ هاتِ الشَّذَا هاتِ النَّفَسْ
هاتِ سراجَ المِهرجانِ هاتِ شمعةَ العُرُسْ
هاتِ ابنةَ الشعاعِ والظلِّ ابنةَ العَذْبِ السَّلِسْ

أحدهم لرئيس الوفد :

مولاى القِ الســـمـ ـعَ وابعثِ النَّظَرْ
ماذا ترى ؟

الرئيس : أرى « بهاراً » قد سَكِرْ

الأول : فتـــاكَ غـنَّى وفتـاىَ قـد شَعَرْ

الرئيس : وما الذى ضَرَّ ؟

الأول : صـدقتَ . لا ضرَرْ

(١) قالوا : ان قزح لا يفصل من قوس ، ولكن الناظم لم ير بأسا فى فصله لسهولته وكفاية دلالته .

نقيتاس : الى نفريت أمام فرعون أمازس
ومالى لا أعطى الحياة اذا دعت بلادى : حياتى للبلاد ومالى

الرئيس: ونحنُ ما نصنعُ ؟

الأول : شُربٌ وسمَـــرْ

الرئيس. ونحنُ أيضاً بَشَرٌ وهُـــمْ بشَرْ

فليشربوا من هـــا هنـــا إلى السَّحَرْ

احدالشبان: رئيسَ الوفدِ لا زلتَ لما يَرفَعُ تُختارُ

ولا ساواكَ دهقانٌ ولا داناكَ أسوارُ

وغالَى بكَ قمبيزٌ وحلّت جسمَك النَّارُ

« يدخل وصيف من وصفاء القصر ويبده مومياء من الذهب »
« يعرضها على الضيفان . ووراءه رجل يقول ويكرر . . . »

المُوميَا طُوفُوا بهـا واتّعِظُـــوا بخَطْبهَا

لا تسألوا ما هى مَنْ نكرَها طولُ الزَّمَنْ

هَيَّا كلوا هَيَّا اشربوا هَيَّا اسمعوا هَيَّا اطربُوا

تمتَّعُوا بالفانيـــهْ قبلَ الحيـاة الثانيَهْ

خذُوا المُدامَ الصَّافيهْ قبلَ انكسارِ الآنيـهْ

فارسى لآخر: خورشيدُ هذا هو البلاء كلُّ أحاديثهم فنـاء

خورشيد: روايةُ الموتِ حيث راحوا وقصةُ الموتِ حيث جاءوا

« يقترب تاسو من نتيتاس فى ناحية أخرى من البهو ويقول »

تاسو : نتيتاسُ ألاَ كاسُ ألاَ شكوى ألاَ عتبُ
أيُنْسَى فى سُويعاتٍ ويُطوَى ذلكَ الحُبُّ

نتيتاس : دعِ الحبَّ فلم يُخلق له من لا له قلبُ

تاسو : وما ذنبى ؟

نتيتاس : لقد أحسنتَ لكن لى أنا الذنبُ
أنا احببْتُ عابثـــاً سادِرَ القلبِ جافيَا
يَعشَقُ الجاهَ والغِنَى لا يُحبُّ الغوانِيَا

مستمرة : أنتَ كالنّعمةِ من قصرٍ لقصرِ
أنتَ كالنّحلةِ من زَهرٍ لزَهرِ

مستمرة : باعَدَت الأخلاقُ ما بيننا أينَ أخُوا العهدِ من الناكثِ
لعِبتَ بى فيما مَضَى عابثَا
فالعبْ بغيرى اليومَ كالعابثِ
أقسمْتَ لى فأذهبْ فأقسم لها
فأنتَ أهلُ القسمِ الحانِثِ

أحببْتَ بنتَ الحيِّ حتى قضَى
واليومَ أحببْتَ ابنةَ الوارثِ

كم مجلسٍ كان لنا ثالثُ ... فيه وقد تَعْمَى عن الثالثِ

تاسو : ما هو مَنْ ؟

نتيتاس : الحبُّ يامدَّعِي ... والحبُّ حربُ الظالمِ العائثِ

« يعرض عنها تاسو ويبتعد »

نتيتاس لنفسها :

مضى الغادرُ لم يَشْعُرْ ... بما حمَّلَنى الغدرُ
ولا رَقَّ له نابٌ ... على جُرحى ولا ظُفرُ
تكلمتُ فلم يسمع ... وأنَّى يسمعُ الصخرُ
لقد غامرتُ فى تاسو ... وتاسو فى الهوى غمرُ
كم استشفيت بالسِّحْرِ ... فما عافانىَ السِّحرُ
وكم ناديْتُ آبائى ... فما لَبَّانىَ النَّصرُ
وكم جئتُ الى الصَّبرِ ... فما أوانىَ الصَّبرُ
جزاه المُعرِض التيَّاه ... منكِ الصدُّ والكِبرُ
هَبِيهِ نأت الدارُ ... به أو نزَحَ القبرُ

هَبِي معرفةَ الغادرِ لم يأت بها الدهر
أقلّي شُغلَ الفكرِ فقد أتعبكِ الفكرُ
هَبيهِ مرّت السنُّ عليه ومَشَى العُمرُ
فلم يَبْقَ له نَهْيٌ على الغِيدِ ولا أمْرُ
ولم يبقَ له فى الـــبَالِ تمثالٌ ولا ذِكرُ

« مدعو من المصريين يشير الى تمثال وهى متنكرة فى زى يونانى »
« ويقول لرجل بجانبه . . . . . »

المدعو : مَن المرأة ؟

الآخر : مَنْ ؟

الأول : تلكَ! تَرَاها مثلَ طاوُسِ
تراها مع كالياسِ

الثانى : ومَنْ ؟

الأول : وارثُ فانيـــــسِ
أمير الجيشِ فى مَنفٍ واسوانَ وسايِيسِ

الثانى : أجلْ تلكَ التى تظهـ رُ فى أغربِ ملبوسِ

فهذا الوجهُ مصريٌّ وهذا الزِّى سامُوسى

« رجل فارسى لآخر يدعى قباذ »

الرجل : انظر قباذُ ما تَرَى ؟

قباذ : أحسنَ شىءٍ منظرَا

حمامةٌ تُطارِحُ الشجوى حمامًا ذكرَا

يا ليتَ أذنى سمعَتْ من الحديث ما جرَى

الأول : دعنىَ من ذِكر الهوَى إنّنِى مُذْ كنتُ لم أعشَقْ ولم أُعشَقِ

قباذ فى تهكم :

وأنتَ كالناسِ امرؤٌ عائشٌ ؟ تلك لعَمرِى عيشَةُ الأحمَقِ

الأول : قباذ قد عرفتُه ذلك تاسو الحارسُ

قباذ : الحمد لله على أن لم تَحزهُ فارِسُ

إذن لهامَتْ كاعِبٌ بحبِّه وعانِسُ

« تاسو يقترب من نفريت »

نفريت : تاسو هنا ؟ هاتِ اسقنا

تاسو : لبَّيكِ يا ذاتَ البهاءْ لبَّيكِ يا بنتَ السماءْ

يا ليتنى كنتُ الرّحيقَ وليتنى كنتُ الإناءْ

« ويناولها قدحا »

نفريت : تاسُ مِنْ أينَ ومَنْ كنتَ من الغيد تُحدِّثْ ؟

تاسو : كنتُ أُجامِلُ الضيو فَ وأُلبّى الملكا

فعارضتنى نتيتا سُ فى خلالِ ذَلكا

نفريت : وما الذى قلتَ لها تاسُ وما قالت لكا

تاسو : عادَتْ لذكر حبِّنا القديم وعَطفَتْ على الهوَى الذّميم

وطالَ العتابُ وطالَ الشّبابُ

نفريت :

تاسو : بحق الحبِّ نفريتُ أقلِّى الشُّغلَ بالأُخرَى

ولا تُلقى لنتيتاسَ لا بالاً ولا فكرَا

غداً تخلُو لنا مصرُ غداً يصفُو لنا القصرُ

غداً ترحلُ لا أرجعُها البَرُّ ولا البحرُ

نفريت : مالكَ تاسُ ولَهَا خَلِّ الفتاةَ خلّها

لله ما أعظمَها عِندى وما أجلّها

قد أظهرتْ أمسِ أم ... امى فضلَهـــا ونُبلَهـا

تاسو : ما فعلتْ ؟

نفريت : ما أنتَ مَنْ ؟ ... يقـدُرُ تاسُ فعلَهـا

ألم تصبر عن الوطن المُفدَّى ... وتسمحْ بالدّيار وبالشبابِ

وترضَ بأن تُزَفَّ غداً مكانى ... إلى النمرِ الأمير على الذئابِ

تاسو : صهٍ نفريتُ صهْ لا يسمعون ... فتلقى مصرُ أنواعَ العذابِ

« فى ضجة الوليمة يقف صاحبان هما : منا ، وأحامس ، ويتحادثان »
« صديقهما خوفو يقبل عليهما ثم القائد كالياس .. .. »

مِنـا : انظر أحامسُ

أحامس : ما ذا ؟

مِنـا : فرعونُ بينَ صحابهْ

أحامس : وما ترَى من عجيبٍ ؟ ... ما ذا بفرعونَ ما به

مِنـا : انظر تجـــده إلهاً ... فى عبقرىّ ثيـابه

أحامس : لا تُلقِ بالاً إليـه ... ولا إلى أذنابه

غـداً يَصبُّ عليهم ... قمبـيزُ سَوْطَ عذابه

مِنـا : أحامِس استغفر لما قلتَه ... فالُ الشياطينِ ولا فالُكْ

أحامس : قد كنتَ مثلي يامِنا ساخطا تلعَنُ فرعونَ فما بالُكْ

ثم مستمرا : تأمَّلْ القصرَ مِنَّا وانظره أرضاً وسَمَا

انظر ترى الإغريقَ فيه هُمْ لفيفُ العُظَما

أنظر تجدهم كُلُّهُم يملقونُ العجما

مِنا : ما ذا على فرعونَ إنْ رعاهمو وقدما

أليس للضيفِ على ضائفِهِ ان يُكرَمَا

أحامس : وصاحبُ الدارِ إذنْ يموتُ جوعاً وظَمَا

وصاحبُ الدار إذنْ لا يتعَدَّى السَّلَمَا

خوفو : ما ذا أثار الصاحبيْن لِمْ وفيما اختصَمَا

أحامس : كنْ مُنْصفاً إن رُمتَ يا خوفو تكونُ الحَكَمَا

تأمّلْ القصرَ خوفو أفيهِ من مصرَ شئٌ

أليسَ فرعونُ فيه كأنَّه أجنبيٌّ

فأينَ حفارُ مصرٍ وفنّه العبقريُّ

والجيشُ خوفو

خوفو : خُذَا الحِذارَ يا منا يا أحامِس

كالياسُ آتٍ إلينا

مِنا : ومَنْ ؟

خوفو : خليفة فانِس

أحامس : اليومَ كالياسُ وأمسِ فانِسُ

احتكرَ القيادةَ الأبـــالِسُ

« ويقبل عليهم كالياس »

فرعون أمازيس لناسو :

أينَ أقـــزامىَ ؟ امضِ جِىءْ بأقزامِى تاسُ

يدخل الاقزام فى أزياء المهرجين ، فيقولون :

تحيّـــاتٌ لفرعونَ سلامُ الشمسِ للملكْ

ســـلامٌ قائِدَ الخيلِ ســـلامٌ حامِىَ الفُلْكِ

قهرمان القصر للاقزام :

هلُمُّوا رقصةَ الحورِ إذا طُفْن بهـــاتُورِ

سمـــاءِ العزِّ والنُّورِ

احد الاقزام: نحنُ القُزُم أنصافُ ناسْ
ناسٌ وبالشِّبْرِ نُقَاسْ

ثانى : نحنُ الدمَى واللُّعَبْ بنا يتمُ الطَّرَبْ

ثالث : هلمُّوا رقصةَ الموتَى من الكهفِ إلى الكهفْ
ودُورُوا كالتماثيلِ من الرَّفِّ الى الرَّفّْ

آخر : ثِبِي جُثثٌ على الجَدَثْ ثِبِي ثِبِي
حَبْوَ الصّغارْ على اليدِ والرُّكبِ
هيَا قِفِي هيَا ازحَفِي هيَا العبِ
هنا الطعامُ هيَّا كُلِي هنا الشَّرابُ هيَّا اشْرَبِ

آخر : تعالَ يادهقانْ أرْقُصْ مَعِى
وأنتَ يا «أسوار» قُمْ اطلعِ
واقْتَبِسا الأنوارَ من سارع

الجميع : عِشْ يا ملك مع الزَّمَنْ
مُطَوَّقاً مصرَ المِنَنْ
وذائداً عن الوطَنْ

« ثم يكررون عش يا ملك وينصرفون »

فرعون أمازيس الى وجهاء الفرس :

يا وُجهاء الفرس قالوا لكم ... مصرُ بلادُ السّحرِ والسّاحرِ
فرُبَّما سرَّ كُمُو أنّنِي ... أأجيئكُم بالساحرِ القادرِ

وينادى : حوتيب

حوتيب : لبّيْكَ سارَعْ

فرَعونَ : تعالَ لَهُ الضيُّوفَا

حوتيب : سادتى إنِى فى الكَ ... فِّ وفى الجَبْهَةِ أقرا
أنا أقرَا لكَ حَظَّا ... أنا أقرَا لكَ عُمرَا
أنا الذى بسحرىَ المبينِ ... أستطلعُ المكتوبَ فى الجبين

فرعون الى تاسو :

تاسُو أقْتَرِبْ

تاسو : لبّيْكَ ياسارِع

فرعون : لِمْ اجلبُوا ماخَطْبُهم ما الدّاعِى

« ضجة وهمس »

فرعون مستمرا :

وفيمَ هذا الهَمْسُ والتراعى

تاسو : مولاىَ إن الوفْدَ فى ارتياعِ

ناسو فى أذن الملك :

انقلبتْ عِصيُّهم أفاعِى

فرعون : يالَحَوتيبَ من فتًى صناعِ

رئيس الوفد :

لله دَرُّ الساحِرِ هذا من العباقِرِ

حوتيب : أناةً وفدَ فارسَ لا تُراعُوا ولا تُحصُوا دُعاباتِى علياً

خُذُوا قضبانَكم وتأمَّلُوها لقد عادَتْ كما كانتْ عِصياً

فرعون : حوتيبُ قد سرَّ ضيو فى أن يروْا ويسمعوا

فزدهمُو فعندك السحـ ـرُ الغريبُ الممتعُ

حوتيب : فرعون هذا شرفٌ يطيرُ بى ويرفعُ

أصنعُ ما كان دَدَا الساحرُ قبلى يصنعُ

فرعون : وما الذى تصنعُ ؟

حوتيب : جيئونى برأسٍ يُقطع

فانى أردُّه لجسمِه وأرجعُ

فمنْ من الوفد برأ سِه الىّ يدفعُ

رئيس الوفد لرجاله :

هل منكمو يا معشرَ الفرسِ بَطلْ
عن رأسِه لساحرِ النيل نَزَلْ

حوتيب : هاتوا الرءوس لا يخافنَّ أحدْ
فكلُّ راسٍ سيُرَدُّ للجسدْ

أحدهم : رأسيَ غيرُ هيِّنِ
ثانٍ : رأسي عمودُ بدني
ثالث : رأسي لديَّ غالٍ رأسيَ كلُّ مالي
فرعون : حوتيبُ ما من أحدٍ هان عليه رأسُهُ
أنظر اليهم . كلهم عزّتْ عليهِ نفسُهُ
خلِّ حوتيبُ الناسَ واخترْ غيرَهم للتجربه
حوتيب : مُرْهمْ إذن أن يُحضروا إوَزَّةً او أرنبه
فرعون لناسو :

امضِ ناسُ جيء حُتَيْباً بأوزٍّ وأرانب

يخرج ناسو ثم يعود ببضع من الاوز والارانب فيقطع حوتيب رأس اوزه ويقول

شالَ هَبَدْ شالَ هَبَدْ لا يُعجزُ السحرَ أحد يارأسُ عد الى الجسد

الفرس : تعالتْ قدرةُ النـــارِ

المصريون: تعالَ الربُّ آمونُ

فرعون : هىّ حوتيبُ إمْش بينَ الصُّفُوفْ

وطالِعْ الجَبْهاتِ وأقرا الكُفوفْ

حوتيب : برأسِ مَنْ أبدَأُ مُرْنِى يا سارعْ

فرعون مبتسما وملتفتا بتاسو :

برأسِ تاسُ إقرَا ما فى جبينِهِ

وبَيِّنِ المحجوبَ من شئُونِهِ

حوتيب وهو يتأمل جبين تاسو :

هـــذا فتَى باطنُه جمـــادُ

ليس وراءَ رأسِـــه فؤادُ

رأسٌ عليـــه وقف الجلاّدُ

تاسو : إخْسَأْ كذبْ تَوضلّ سحْرُكْ

فرعون : ورأسِى ياحوتيبُ ألا تراهُ؟

حوتيب : جَبينُكَ أعفِنِى مولاىَ منه

فرعون . تعالَ حوتيبُ

حوتيب : لا . هذا شديدٌ جبينُ الشمس تنبو العينُ عنه

يا عجبا ماذا أرى ؟

فرعون : ماذا ترَى

حوتيب : دَمٌ جَرَى

فرعون : دَمِى أنا ؟

حوتيب . لا سيدى . عُوفيتَ بل دَمُ الورَى

تاسو : إذن ليجرى كالمطر ما هَمَّنا دَمُ البَشَر

إذا سَلِمْتَ يا ملِكْ فليَهْلِكَنَّ مَن هلَكْ

كاهن لآخر بصوت منخفض :

إن هذا الغلامَ فيه قساوهْ

الآخر : قلتَ حقًّا وفيه أيضاً غباوَه

فرعون : و بعدُ ماذا ؟

حوتيب : حربٌ عوانٌ يَشيبُ من هَوْلِها الزمانُ

فرعون : وهل أكونُ ياحوتيبُ فيها
سِواك يا مولاىَ يَصْطَلِيها

حوتيب :

فرعون : وآبْنِي بسامًا يا حوتيبُ ما تَرَى ؟
هل يَشهَدُ الحربَ وهل يراها

حوتيب : سيدى ليتَ الأميرَ حاضرٌ
أنا لا أقرأُ إلا فى الجبين

« قهرمانة القصر تطيف بالعازفات والحسان وتقول . . »

القهرمانة: قُمنَ إلى اللهو يا عَذَارَى
وخُذْنَ صَنْجًا وخُذنَ دُفًّا

واهتِفْنَ بالشِّعرِ والأغانِى
واقطعنَ ليلَ الشبابِ قصفًا

وانشدْنَ مع القومِ
نشيدَ الملكِ العالى

« ينشد الجميع نشيد فرعون مع الرقص وآلات الطرب »

النشيد : فرعونُ أنتَ الرفيعُ
أنتَ العظيمُ الشأنِ

وأنتَ سدٌ منيعٌ
من جارفِ الفيضانِ

وأنتَ كالصخرِ تحمِى
من نكباتِ العواصفْ

من قاطعِ الطرقِ يأوِى
إلى حِماكَ الخائفْ

وأنتَ من صخرِ طيبه
حِصنٌ مشيدُ الجدارِ

يُؤْوَى إليكَ ويُلْجَا إلى طلوع النهارِ
أنت اخضرارُ الرِّيفِ وأنتَ حُسنُ الرَّفيفِ
تَرُدُّ بطشَ القويِّ وفتْكَهُ بالضعيفِ

« فرعون يغادر مكان الوليمة فينطلق المدعوون على أثره ولا يبق »
« الا نتيتاس . . . . . »

نتيتاس لنفسها :

أفيقي بنتَ فرعونٍ فما يَزْكُو بكِ السَّكرُ
غداً تَذْرُو رياحُ الفر سِ من موتاكِ ما تذرُو
غداً يُصبَغُ من شَطِّ لشطٍّ بالدَّمِ النَّهرُ
غداً يُهْتَكُ عن أربابكِ المحرابُ والسِّترُ
فما تاسو وفتيانٌ كتاسُو فى الحمى كثرُ
همو النَّحلُ وإن هابُوا لقائى وأنا الزهرُ
يموجون بساحاتى ويَزْهُو بهم القصرُ
ولكن بينَ جنبيَّ هوًى أولَى به مِصرُ

« ستار »

الفصل الثانى

« فى مدينة سوس الفارسية »

« فى حجرة فارسية فخمة مفروشة بثمين الطنافس ومملوءة بالوسائد »
« من الحرير المختلف الالوان ، وقد زينت زواياها بالرياحين »
« الكريمة الملكة ووصيفتها تتى فى الحجرة المذكورة . . . . »

الوصيفة تتى وهى تصلح رأس الملكة وتمشط شعرها :

تبـــارك الذى خلقْ أقولُهـا ولا ملقْ
ذوائبٌ أم الدُّجَى ومَفـرِقٌ أم الفَلق ؟
غدائرٌ فى الكَتِفيْن انـــسدلتْ وفى العُنُق
كأنها من الحرير الأســـود الخيطِ شُقَق
لم يَخـلُ جوُّ فارسٍ مُذ ضَمَّها من العبق

الملكة : ما تصنعين يا تتى

تتا : أُصلحُ مولاتى

الملكة : لِمَنْ ؟

الوصيفة تتى وهى تصلح رأس الملكة وتمشط شعرها :
تبارك الذى خلق أقولها ولا ملق

تتا : للزوج يا سيدتى
الملكة : لنمر الفرس الخشن
تتا : هبيه ذئباً ملكتى أو نمراً أو كركدن
أليس للأزواج تا بس النساء ما حسن

الملكة ملتفتة الى وصيفتها تتى :

قلت حقا تتى فان على المر أة للزوج أن تكون أمينه
وعليها ألا تقصر بشراً حيث تلقاه أو تقصر زينه

تتى الوصيفة: بل تحلى مليكتى والبسى حلة البهاء
وافتنى من بفارس من رجال ومن نساء
إن كسرى وقومه كلهم فى الهوى سواء
أنت كالشمس فى الضحى فانشرى الحسن والضياء
لا على القصر وحده بل على الأرض والسماء

الملكة : يا لك من وصيفة مملقه
عارفة بالجمل المنمقه

الوصيفة : لقد وضعت ذهباً فى البوتقه

ولم أصف بالطيبِ إلا زنبقه
وقلتُ عـــن شمس النهارِ

الملكة : مُشرقه

« ويظهـر على الملكة التفكير »
« واشتغال البال فجأة ثم تتغنى فى »
« نفسها وهى مقبلة على المرآة تنظر فيها »

الملكة فى نفسها :

يا ظالماً أحبُّه جهـــد الهوى وان غدرْ
ومن هجرتُ وطنى لأجله حينَ هجرْ
قلبُك لحمٌ ودمٌ مثلُ القلوب أم حجرْ
لم يتنصَّلْ مرةً مما جنى — ولا اعتـــذرْ
جسمٌ كسلسالِ الصَّفا على فؤادٍ كالصَّخرْ
وزهرٌ أنتَ وتلك النفـــسُ أفعى فى الزَّهرْ
لم تجنِ يا تاسُ عـــلىّ إنمـــا جنى القدرْ
ذنبُك لا يُغفرَ إلا أن قلبى قد غفرْ
إن غِبتَ عن عينى فأنـ تَ فى سوارحِ الفِكرْ

أراك كلما رأيتُ طائرين فى الشجرْ
وكلما بدتْ لىَ الشمسُ ولاح لى القمرْ
وكلما جئتُ الرياضَ ووقفتُ بالغُدُرْ
وكلما ترنَّم الشادى وحرّكَ الوترْ
وكلما دبَّتْ وراء الليل نسمةُ السَّحَرْ
ياليتَ شعرى كيفَ أنتَ ما تجىء ما تذرْ
وكيف حُبك الجديدُ هل حبَا وهل كبِرْ
وهل وَفيتَ أم غدرتْ بالعشيقات الأُخَرْ

الوصيفة : دَعِى الناسيَ مولاتى وخلِّيكِ من السَّالى
ولا يخطُرْ لكِ النّاكثُ للعهدِ على بالِ

تيتاس : هبيهِ يا تِتَا خانَ فما لى لا أفى مالِى
له خُلْقٌ ولى خُلْقٌ ولكن خُلقِىَ العالى

تِتَا : هو يا ملكتى مِثالٌ ولكن من الوَحَلْ
كان يكفى لبُغضهِ بعضُ ذاك الذى فعَلْ

تيتاس : أنا افديهِ يا تِتَا بحياتى وإن قتَلْ

تتا : لو كان معشوقِي أنا

نتيتاس : ما الذى كان يُلاقِي

تتا : آهِ لا أدرى

بالصَّفعِ أجزيهِ وبالرَّكْلِ أو

كنتُ أُرِيهِ النَّجمَ فى الظُّهر

نتيتاس : الحبُّ فى ناحيةٍ وأنتِ ذى فى ناحيهْ

ما هكذا الحبُّ تِتَا ما الحبُّ الا التضحيه

« تسمع ضجة وصياح وحركة جنود وراء القصر وصوت استغاثة »

يقول المستغيث :

العفوَ يا كسرَى الصفحَ يا سلطانْ

أخوكَ والنا رِ ومجدها ما خانْ

الملكة : اسمعِى يا تِتَا ألم يأتكِ الصو ت؟

تتا وتطل من نافذة : أجَلْ ثَمَّ ضَجَّةٌ وعَويلُ

ثَمَّ خيلٌ وشُرطةٌ وسلاحُ

الملكة : ليتَ شِعرِى من البرى القتيلُ

تتا : أقتيلٌ يابنتَ فرعونَ ؟

الملكة : لِمْ لا ليس فى أرض فارسٍ مستحيلُ

ياتِتَا نحنُ فى بلدْ كلُّ قلب به جَمَدْ

الحىُّ فيه رخيصٌ والميْتُ أرخَصُ منه

هنا الميْتُ تُنفضُ منه الأكف

وتنهى الشرائعُ عن دفْنِهِ

ويُطرَحُ ناحيةً فى الفضاء على سَهْلِهِ أو على حَزنهِ

تروحُ الحداة على رأسهِ وتغدُو الذئابُ على بطنهِ

تتا : ويْحَهُمُو ويْحَهُمُو أمَا مِن الناسِ همُ ؟

ذلَّتْ وهانَتْ أُمّةٌ ميْتُهُو لا يُكرَمُ

الملكة وهى مطلة :

تِتَا هذا هو الحارسُ هذا مَنْ تُحبِّينَا

كذوقِكِ ياتِتَا لم يَعْلُ ذوقٌ أتمثالٌ حبيبكِ أم إلاهُ

تتا : ولو فوق الإله يُحَبُ شىءٌ ويُكرَمُ لم يكُنْ أحداً سواهُ

تأمَّلِى كَتِفَيهِ تأمَّلِى مِنكبَيهِ

كأن صقرَيْنِ حطَّا فظَلَّلا شاربيهِ

الملكة : انتظرى لا بُدَّ لى أن أسأله

تتا : لاتفعلي مالَكِ مولاتِي ولَهْ

الملكة : يأيها الحارسُ

الحارس : لبَّيْكِ

الملكة : مَنْ يقتلون اليومَ فى السَّاحَهْ ؟

الحارس : أختُ الملكِ أتوسيا

الملكة : أُختُ الملكْ ؟

الحارس : أجـل هِيَا

اتهمت ببرُديا

تتا : من برديا ؟

الملكة : أخـو الملك ! يقطع فى السـاحة رأس بُرديا

يا أسفا عاوده جنونهُ

تتا الوصيفة — وقد أطرقت الملكة لحظة مفكرة مغتمة

ما بكِ مولاتى ماغمّكِ ما هـذا الأسـى ؟

الملكة : لاشىء بى لقدْ وهمتِ يا تِتَا لا شـىء لا

الوصيفة : بل أنتِ تكتمين غمّاً طافَ أو همّا سرى

هل ذكرتِ أننا غريبتان ها هنا

أنتِ لىَ الأهل ولكنى أنا لكِ الحمَى
وما على الغريبِ إن جاء الغريبَ فاشتكى

الملكة : صدقتِ يا تِتَا أنا وأنتِ فى الكربِ سوَا
قداجتمعنا بعد قُربِ الدارِ فى دارِ النوَى

تتا : أينَ إذن تبسُّمٌ كالصبح من فيكِ يُرى

الملكة : لقد رأيتُ الهوْلَ والزَّوْلَ وماهدَّ القُوىَ

تتا : أضغاثُ أحلامٍ وزو رٌ من تهاويلِ الكِرَى

الملكة : رأيتُ رؤيا يا تِتا هل لكِ عِلمٌ بالرؤى؟

الوصيفة بعد تفكير :

أجلْ تذكّرتُ أجلْ عندِىَ من ذاكَ شدا
قد كنتُ فى الصِّبَا على أبى أقُصُّ ما أرى

الملكة : رأيتُنى كأننى فى قصرِ أبائى بِصَا
الوصيفة : فى القصرِ من صالحجر قصرِ الجلالِ والبهَا
الملكة : رميتُ عينىَّ من القصرِ إلى أقصى مدَى
رأيتُ وادياً كطولِ البيدِ أو عرضِ الفلا

أصفرُ من شعابه بنفسجىّ المُنحنَى
إحمرَّ مثلَ قُرَّح هناك واخضرَّ هنا
رأيتُ ليثاً أحمرَ الجلدةِ خشناً كالصفا
فاغرَ فيهِ عن نيوبٍ مثل مشروع القنا
انقضَّ كالصخرِ على الوادى فأقْعَى فَرَنَا
ونظرَ النيلَ وقد عَبَّ وماجَ وطغى
وخرجت منه التماسيحُ فُرادى وثُنَى
وأعْوَلت حتى لقد سدّ عويلُها الفضا
فعُقِرَ الليثُ فلا رجلاً رمى ولا يَدا
وقرَّ فى مكانِهِ كأنه بعضُ الدُّمى

الوصيفة : ثمَّ ؟

الملكة : رأيتُ حنشاً ليسَ له مِصرُ ثَرَى
لم ترَ منفُ مثلَه ولا الصعيدُ قد رأى
كأنه صاعقةٌ تحدرتْ من السما
مشى إليه كلُّ ذى قوسٍ وكلُّ ذى عصا

وخرج الكهانُ يتلونَ الصلاة والرُّقَى

الوصيفة : وما الذى حلَّ به ؟

الملكة : لم يُصبْ الوحش أذى

الوصيفة : حقَّقْتِهِ سيدتى ؟

الملكة : حقَّقْتُهُ على الضُّحى

الوصيفة : فكيف كان ؟

الملكة : صورة تُشيبُ الرُّؤسَ النَّشا

كأنه فانيسُ عينَيْنِ ووجهاً وقفا

حتى تعوَّذتُ بأزيسَ وآبائى العُلى

الوصيفة : فانيسُ مَنْ ؟

الملكة : نسيتِهِ ؟ كيف نَسيتى يا تِتَا

الخائنُ الذى إلى فارسَ من حينٍ أتَى

يَبْغِى بمصرَ وأخا فُ أن يكون بى وشَى

الوصيفة : ما صنعَ الثعبانُ مو لاتى

الملكة : من النهرِ دنا

وفَحَّ ثُمَّ دَسَّ فى النهر لسانًا كاللَّظَى
فاحتجبَ النيلُ وعادَ يَبْسًا ما كان ما
واحترقتْ مدائنٌ بالضفتَيْنِ وقُرَى

الوصيفة : والليثُ يا سيدتى ؟

الملكة : بعد التهيّبِ اجْتَرَا
مشى على الوادى فهلْ رأيتِ عاصفًا جَرَى ؟
يقتلعُ اليابس والرَّطبَ ويَفْرِى ويطَا
وكرَّ حتى غادرَ الوادىَ قاعًا صفصفا
هو ذا الحُلْمُ فما تفسيرُه نبئينى يا تِتَا

الوصيفة لنفسها مضطربة : ما ذا أقولُ ؟

الوصيفة للملكة :

مَلْكتِى لا تفزعِى

الملكة : كيف تِتَا كيف لا أفزَعُ والحُلْمُ مُهولُ
ينفِدُ النيلُ ويذْوى شَطُّهُ
وتَغولُ الأهلَ والأوطانَ غُولُ

الوصيفة : رؤياك يا سيدتى من نفسها مؤوّلَه
نالتكِ من عَشاءِ أمـ ـس ثُقلةٌ ووبلَه
الملكة : ماذا أكلتُ مع قميزَ وما قُدّم له ؟
الوصيفة : كان العشاء ملكتى مائدةً محمّلَه
أكلتِ يا سيدتى من أرنبٍ متبلّلَه
ثم أكلتِ من حَمَلْ وحَمَلُ الفُرسِ جَمَلْ
الملكة : ثمَّ ؟
الوصيفة : جاءوا بالطيرِ فى الأطباقِ
الملكة : طيرُ مَنْ ؟
الوصيفة : طيرُ فارسٍ والعراقِ
الملكة : ثمَّ ماذا ؟
الوصيفة : ثم جاءوا بالسمكْ
فرأيتُ الملكَ فى الأكل انهمكْ
الملكة : ثم ماذا ؟
الوصيفة : لا أعُدُّ ما حضَرْ من لحومٍ وبقولٍ وخُضَرْ

ثم بالحَلْوَى أتوْا والفاكهة

الملكة : كيف كانت ؟

الوصيفة : تشتهيها الآلهة

الملكة : خلَّطت تخليطَ العجوز يا تتا فما علاقةُ الطعام بالكرى

الوصيفة: الأكلُ قبلَ النومِ ثِقْلٌ وأذى وربَّما جاء بأضغاث الرُّؤى

الملكة لنفسها :

عرفتُ الآن رؤياىَ وما خلَّطَ أحلامى
وقد يُغريكَ بالأكلِ طُهاةُ الفُرسِ والشام

ثم الى تتا : تتا أينَ كنتِ ؟

الوصيفة : وراءَ الخَدَمْ

الملكة : وكيف عَددتِ عليَّ اللُّقَمْ

الوصيفة : لبِدْتُ هناكَ فما من يدٍ تفوتُ عليَّ ولا مِن قَدَمْ
ولم يخفَ عنيَ كيدٌ يطوفُ ولا وحيُ لحظٍ ولا همسُ فَمْ
أخافُ القصورَ وأخشَى السمومَ
وما منزلُ السُّمِّ إلا الدَّسَم

الملكة : يا لَكِ من رفيقهْ محسنةٍ شفيقهْ
مَرْحَى تِتَا كذاتِتَا فلتكنْ الصديقه

الوصيفة : سيدتى أخجلتنى ليس بما جئتُ عجبْ
ما قُمتُ يا سيدتى إلا ببعضِ ما وَجَبْ

الملكة : ولكن ياتِتَا ما أخطرَ السُّم على بالِكْ
ولى فى فارس عامٌ فما فكَّرتُ فى ذلكْ

الوصيفة : أرى قمبيزَ والفرسَ بمولاتىَ قد جُنُّوا
ولولا ذاك لم يخلُ من السُّمِ لها ذُهنُ

الملكة : ولِمْ لا نحذرُ السُّمَّ أما فى فارس نحنُ
هنا الجلادُ والسيفُ هنا السَّجَّانُ والسَّجْن

الوصيفة : وماذا ضرَّ ما قلتِ إذا لم يَحِنِ الحِينُ

الملكة بعد برهة تفكير :

أرى قمبيزَ ذَلَّ ورَقَّ طبعا بربِّك هل رأيتِ عليه حُبَّا

الوصيفة : أجلْ هو يقصرُ الخطواتِ مهلاً
وكان يَمُدُّها خَطْفاً ووَثْبَا

ثم فى تلعثم وتردد :

سأسألُ فأحلمى عنى فإنى
أموتُ ولا اراكِ علىّ غضْبَى

سؤالٌ ملكتى هل من جوابِ

الملكة : أدُونكِ يا تِتَا شيءٌ يُخَبَّا

الوصيفة : زعمْنَا أن قمبيزاً مُحبٌّ فهل تجزينه بالحبِّ حبّا

الملكة : أحبُّ انا ؟ ضَلَّ ماقد ظننْتِ وإن خِلتِ ظنَّكِ لم يكذبِ

الوصيفة : ولِمْ لا . وقمبيزُ لا بالقبيح ولا بالدميم ولا بالغَبى
ولا هـــو بالملكِ البربرىّ
ولا الوحشِ ذى النَّابِ والمِخلَبِ
ولكن فَتًى خيِّرٌ كالسحابِ
وضيءُ البشاشةِ كالكوكبِ
يزينُ السريرَ اذا احتلَّه وإن سار كان حُلَى الموكبِ

الملكة : صدقتِ تتَا هو زينُ الشبابِ
إلهُ القَنَا قمرُ الغَيْهَبِ

اذا غُلِبَتْ فى القتالِ الملوكُ ... وفى السِّلمِ عَزَّ فلم يُغلَبِ
يُسيطِرُ كالشمسِ سلطانُه ... على مشرقِ الأرضِ والمغربِ
ولكن متى يا تِتَا دُلِّهَتْ ... بناتُ الفراعين بالأَجْنَبِ
وما نلتقى فى جلالِ الجدودِ ... ولا فى العقيدةِ والمذهبِ
بَخٍ بَخْ تتا ألفَ مرحَى تِتَا ... حَنَانَيْكِ عفواً ولا تغضَبى

الوصيفة :

لقد قلتُ حقًّا وماذا علىَّ ... إذا قَوْلَةُ الحقِ لم تُعجبِ

« تنسحب الملكة الى غرفة مجاورة ويدخل قمبيز . . . . . »

قمبيز « يدخل وعليه أمارات الغضب » —

ما أرى من تتا ؟ تتا أين مولاتُكِ فيمَ احتجابُها أين سارتْ

تتا لنفسها : ربِّ ماذا به وما هاج قمبيز وما بالُ نفسهِ اليوم ثارت

تتا لقمبيز — هى فى حجرة الملابس

قمبيز : لا بل ... هى قد جاءها النبا فتوارت
خبّرينى من أبوها ... أبرياسٌ أم أمازسْ
وبنفريتَ تُسمّى ... أم تُسمّى بنيتتاس
احذرى أن تكذبينى ... احذرى سلطانَ فارس

تتا : سيدى ما هذه الأخبا رُ كسرى من رواها
سيدى كيف اتهمتم ملكة الفرس النبيله

قمبيز : سأريها كيفَ تنقادُ وتأتى لى ضئيلَ
فى غدٍ تدخلُ مصراً بنتُ فرعونَ ذليله
وترى السيفَ مَخُوفاً وترى النارَ مهوله
وترَى النيلَ دماً والأرضَ جَرْداءَ مَحُولَه
لا أناسٌ لا مواشٍ لا بناءٌ لا خميلَه

الوصيفة : سيدى صبراً تجدْ عاقبةَ الصبرِ جميلَه
سيدى لا تُصْغِ إلا لسَجَاياك النبيلَه

قمبيز : أنا لم اخلقَ لبسطِ الكفِّ أستجدى بخيلَه
أنا للسّيف وللرُّمحِ وإخضاعِ القبيلَه
لا تِتَا . لا . إن بالملكةِ كِبراً ومخيلَه

« ثم يسخر به :

أنا من تُرْبٍ خَسيسٍ وهى من أرضٍ جليلَه
أنا للطّينِ سليلٌ وهى للشمسِ سليلَه

الملكة وهى راجعة :

ما الصوتُ مَنْ تُكلّمينَ يا تِتَا ؟

الوصيفة : سيدتى . سيدىَ الملكُ أتى

الملكة ملتفتة : الملكُ جاء حجرتى ؟ كيفَ متَى ؟ ؟

« ثم ناهضة ومقبلة على الملك :

الملكُ فى مقصورتِى يا مرحبا يا مرحبا

الملك ويقبل على الملكة :

سلامٌ ملكةَ الفُرسِ وبنتَ العِلِيةِ الصِّيدِ

الملكة : سلامٌ سيدَ الأرضِ سلامٌ حيدَرَ البِيدِ

ومن دانَتْ له الدنيا وألقَتْ بالمقاليدِ

« ثم مستمرة :

لم أتعوَّدْ أن أرَى : مولاىَ عندى فى الضُّحَى

قمبيز : خالفتُ نظمَ عادتى وجئتُ فى شأنٍ دَعا

الملكة : مالكَ كِسرَى عابِساً مالى أراكَ مُغْضَباً

الملك ويصفق :

أجلْ جِد غضبان

الملكة : مِمَّ الغضبَ ؟

الملك : رُوَيْدَكِ نفريتُ تدرِى السَّبَبْ

الملكة لنفسها :

دعانِيَ باسمى لم يَدْعُنِي كمَأْلوفِ عادتِه باللَّقَبْ
تُرَى لم يزَلْ جاهلاً أننى أتيتُ لفارسَ بِاسْمٍ كَذِبْ

قبيز ملتفتاً وراءه خارج الباب وينادى :

فانيسُ . أَقبِلْ أُدنُ جِئْ

الملكة فانيسُ ؟ لا . لا يدخُلِ

« لنفسها: فانيسُ لا أجهلُه ليس لمصرَ بالولِى
عدوٌّ قومِى وبلادى كيف يُصفى الودَّ لِى

« ثم الى قبيز :

مولاى إنى ما فرغ تُ بعدُ من تجمّلِى
فكيف أستقبله فى ذا اللبَاسِ المهمَلِ

« لنفسها: يا ويلتـــــاه ما ارادَ باصطحاب الرجلِ
إيزيسُ ما بالىَ أحـ ـسستُ بشرٍّ مقبلِ

الملك : مالَكِ يا ملكةُ لم تُرَحِّبِى وتحْفِلِى ؟
مالَكِ أجفلت ؟

الملكة مضطربة: أنا ؟ لا سيدى لم أُجفلِ

الملك : إذَنْ هَبِي الأذنَ لفا نيسَ دَعِيه يدخل

الملكة : لا بأسَ فى أن أراه عندى إن كنتَ يا سيدى مُصِرًّا

لكن أُنسيتَ أن فانيسَ خانَ بالأمسِ عهدَ مصرَا

وفرَّ منها ولستُ أدرى ماذا دَعَاه لأن يفرًّا

وكان فى الجيش ذا مكانٍ وقادَ برًّا وقادَ بحرَا

قمبيز : لكنه اليومَ فى بلادى أجلُّ مما ذكرتِ قدرَا

الملكة : وسوفَ يجزيكمُو جحودا كما جزى أهلَ مصرَ كُفرا

قمبيز : لقد أتانى بكلِّ سرٍّ عن مُلْكِ مصرٍ لم يُخفِ سِرًّا

حتى الذى تكتمِين عَنِّى

ثم ينادى: فانيس

فانيس : مَلْكِى لبّيْكَ عشرَا

ثم وهو يدخل :

سلامُ الشمسِ من مصرَ سلامُ النارِ من فارسْ

على الملْكة نفريتَ أو الملْكةِ نيتاتِسْ

الملكة لنفسها : رماني النذلُ بالسهمِ

« ثم لفانيس : سلامٌ لكَ يا فانسْ

ويا مَن هو فى الفرسِ ومصرَ القائدُ الفارسْ

وفى القصرين من سوسٍ وسايسَ هو الحارسْ

فانيس : وماذا ضرَّ يا بنتَ الموالى وان تأبَ فيابنتَ الأعادى

أجلْ مولاىَ الاغريقُ قومى

أحبُّهمو ويونانٌ بلادى

هجرتُهما إلى مصرٍ صبيًّا لكسبِ معيشةٍ وطلابِ زادِ

فصدْتُ الرزقَ حتى صارَ عندى

وجاوزَه الى المجدِ اصطيادى

سهرْتُ على اللواءِ بمصرَ جُهدى

وفرعونٌ وقومُك فى رقادِ

الملكة : كذبتَ فلم تكن إلا مسودًا

فانيس : فسوَّدنى ذكائى واجتهادى

الملكة : أجيراً كنت عندأبى وقومى

فانيس : فموَّلنى نشاطى واقتصادى

جعلتُ الأرضَ كالصحراءِ تحتى
وكنتُ الليثَ من وادٍ لوادِ

الملكة : أراكَ علىّ يا فانيسُ تجْرؤ
أجرّأكَ المليكُ على عنادِى ؟

ككلبٍ خلْفَ سيّدِهِ تجرّا فواثبَ رائحًا وسَطَا بغادِ

فانيس : بدأتِ أميرةَ الوادِى بشتْمِى وما أنا يا بْنَةَ المقتولِ بادِى
لقد عيّرتنِى أنى غريبٌ ولوعٌ بالسفار وبالرِّيادِ

الملكة : لقد هجمَ الوَقاحُ على مكانى
وأخشَى أن يصيرَ الى التمادى

« ثم للملك: مولاىَ قِفْ فانيسَ عند حَدِّه
أو رُدَّه لا تُلْجِنى لرَدِّه

علمتَ حقدَه على قومى فلا تدَعْهُ يَنْفُثْ فىَّ سُمَّ حقدِه

الملك : علامَ أقصيه

الملكة : لأنه أتى يَشِى بنا ويفترى كعهدِه

الملك : فانيسُ جاء ناقلاً مُبلِّغا وليس ماجاءَ به من عندِه

ثم مستمرا :

أراكِ نفريتُ غيرَ منصفةٍ رُوَيْدَ لا شيء يوجبُ الغضبا
كونِي مكانى ! ؟ ما كنتِ فاعلةً ؟
إذن قلبْتِ الزمانَ فانقلبا

الملكة : لا سيدى إن للزمان يداً
قد ضربتْ كفَّ كلِّ مَن ضربا

الملك : نفريتُ ثُرتِ على فانيسَ وما حفِظتِ ولاءهُ
ونَسيتِ خدمتَه بمصرَ وما ذكرتِ بلاءهُ

الملكة : لا سيدى لا . نَحِّه أنا لا أطيقُ لقاءهُ

« ثم مستمرة :

ما بِك مولاىَ ما أثارَك ما أذكاك إنى أراك ملتهبا

قمبيز : أثارَنِى منكِ أن كذبتِ وذا
فانيسُ قد جاء يفضحُ الكذبا

« ثم مستمرا :

هلمِّى الآن نفريتُ هلمِّى يا تتيتاسُ

بأيِّ اسميكِ ادعوكِ

الملكة : بذا أو ذاكَ لا باسُ

فيا قمبيزُ لو دانَتْ لكَ الأيامُ والناسُ

فلنْ تستطيعَ ان تقهرَ نفساً حلَّها الياسُ

قمبيز : أنتِ مملوءةٌ من اليأسِ منى

الملكة : أجلْ اليأسُ منكَ مِلءُ ثيابى

فليكن .

الملك : إننى سألت سؤالاً لمْ إذن هبْتِنى وهبْتِ جوابى

كيف أدعوكِ يا عروسُ ؟

الملكة : بما شئتَ بشرِّ الاسماءِ والألقابِ

بالذى أنتَ أهلُه من بَذاءِ والذى أنتَ أهلُه من سِبابِ

الملك : أنتِ لم تُذنبى بل الذنبُ ذَنْبى

أنا قد شئتُ أن تكونى ركابى

الملكة : ليس ما شئتَ أو أتيتَ غريباً

قد تكونُ المَها ركابَ الذئاب

الملك : احْذَرِى أيُّها الفتاةُ إنْفجَارِى

الملكة : انْفجرْ مابِى انفجارُكَ مابِى

الملك : جئتِ ذنبا تُعَاقَبينَ عليه كلُّ ذنبٍ رهينةٌ بالعقابِ

الوصيفة بصوت منخفض :

اكظِمِى الغيظَ يا أميرةُ

الملكة وتشير الى قميز : بل يخرجُ من حُجرتى ومن محْرابِى

الملك لفانيس والوصيفة :

انظُرَا واسمعَا تُحاولُ أن

أبْرحَ قصرِى وأن أُفارِقَ بابِى

الوصيفة للملكة بصوت منخفض :

راجِعِى الحلمَ ملْكتِى سايِريهِ

لاطِفيهِ لِينى له فى الخطابِ

لا تهيجِى به الجنونَ فيطغى

إنّه آدمٌ بُظفرٍ وناب

فانيس همساً : أحْسِنِي الرَّدَ ملْكتِي واحفظِينَا
إننا ها هنا ثلاثُ رقابِ

الملكة : خِفتَ فانيسُ من عذابِ نهارٍ
كيفَ عرَّضتَ أنفُسًا للعذابِ

عجبٌ من خرابِ عمرك تَخشى
أنتَ من ساقَ أمّةً للخرابِ

الملك : بنتُ مَنْ أنتِ يا تتياسُ

الملكة : بنتُ الشمسِ بنتُ العواهِلِ الأربابِ
والِدِي فى السماءِ فهو إلهٌ

الملك : فلماذا مَرَّغتْهِ فى التّرابِ

قد نَبذتِ اسمَكِ الذى كان سَمّاكِ
وجُبْتِ البلادَ باسمٍ كذابِ

ثم مستمرا : تتياسُ تَمَرَّدْتِى فما أبقيتِ لى صبرَا
وكلّمتُكِ فى الذنبِ فما أبديتِ لى عُذرَا
وما أجرأَ ما كنتِ على شتمِىَ ما أجرَا

فما غرَّكِ بالبَأسِ وبالسلطانِ ما غرَّا

الوصيفة بصوت منخفض :

خُذى فى اللِّينِ مولاتِى

فانيس همساً : خُذى سيدتى الحذرَا

فقد تأخذُه النوبةُ حتى يَحْرُقَ القصرَا

قمبيز : دَعِى العزَّةَ بالجنس تتيتاسُ دَعِى الكِبرَا

ولا تُلقِى على إحسا نِىَ النسيانَ والكُفرَا

أما أحْبَبْتُكِ الحُب الذى أنتِ به أدْرَى

وفضَّلْتُكِ فى القصرِ على البيضاءِ والسمرَا

وقدَّمتُكِ فى الأزواج قبلَ الأختِ من كسرَى

الملكة : لقد كنتَ وراء الحُبِّ تُخفِى النَّاب والظفرَا

وما أفرحنى أنى تقدَّمتُ على الأسرَى

ولا أنكَ ترْعانى وتنْسَى النعجةَ الأخرَى

الملك : ملكةَ الفرسِ أمسِ

الملكة : واليوم

الملك : كلا لستِ أهلاً لصحبةِ المالكينَا

الملكة : أنا بنتُ الملوكِ أصلُحُ للمُلْكِ جدودى تملَّكُوا العالمينَا

الملك : قد خُدعتُ الشهورَ يا بْنةَ فرعونَ ولولا فانِسٌ خدعتُ السِّنينَا

فانيس لنفسه :

أحمدُ اللهَ قد نجوتُ برأسى وأمنتُ المُهوَّسَ المجنونَا

الملكة : ليس فانيسُ للامانةِ أهلاً إن من خانَ لم يخفْ أن يخُونَا

الملك : سَترَينَ العقابَ

الملكة : إنى تأهَّبْتُ فهاتِ العذابَ هاتِ المَنُونَا

الملك : لا. فماهنا العقابُ ولكن

الملكة : أينَ ؟

الملك : فى حيثُ شئتُ لِمْ تسأليناَ

مصرُ أوْ لى بأن أحاسبَ فيها وأحلّ العقابَ بالخادعينَا

فى غدٍ تدخلينَ مصرَ مع الجيشِ

الملكة : أنا ؟ لا أرافقُ الغاصبينا

الملك : بل تسيرينَ تحت رايةِ فانيسَ وما تصحبينَ إلا أمينَا

الملكة : سيدى

الوصيفة : ملكتى دعى العنف

الملك : ماذا ؟

الملكة : كيف لقبّنت بالأمين الخؤنا

فانيس همساً : صانعى أيها الأميرة

الملكة : دعنى

فانيس : اهدئى حاسنى عسى أن يلينا

الوصيفة : ملكتى قال سيدى الملك الحق

الملكة : صه أنت يا تتا تكذبينا

فانيس : سترين النعيم تحت لوائى

الملكة : بل أرى البؤس تحته والهونا

الملك : وكأن الوجهين بانا من الوادى

وزالا سهولة وحزونا

أرسل السيل تارة وأجيل

السيف آنا وأشعل النار حينا

الملكة : عُدْ إلى الرُّشدِ ما جنَتْ مصرُ يا قـ
ـبيزُ ما ذنبُ أهلِها الآمِنينا

« ثم مستمرة :

أميرَ الفُرسِ قلنا كلُّ شيءٍ
ولم تَقُل الحقيقةَ والصوابَا

الملك : اعندكِ منهما شيءٌ ؟

الملكة : ولم لا

الملك : إذَنْ قوليهما وزِنِي الخطابَا
ذكرتِ الحربَ هل تَخشينَ منها

الملكة : ولم لا وهى أجدرُ أن تُهابَا

الملك : ولكنا ملوكَ الفرس نغشَى مخاوفَها ونجعلُها لِعابَا
أراكِ هدأتِ نيتتاسُ روعَا

فانيس : وكان الرّشدُ فارقَها فثابَا

الملكة : ذكرتَ مليكَ فارسَ حربَ مصرٍ
وأنسيتَ العوائقَ والصّعابَا

سيَطْوِي الجيشُ نحوَ حياضِ مصرٍ
بحارَ الملحِ واللجَجَ العذابَا

وأغْبَى الناسِ منشِرُ لحربٍ توقَّعَ أن يُصيبَ ولا يُصابَا

ودونَ النيل

الملك : ماذا دونَ مصرٍ؟

الملكة : يجُوبُ الجيشُ صحراءً يَبابَا

ترَى تيهاً تجُرُّ الخيلُ فيه قوائمَها وتنسحِبُ انسحابَا

يَضِلُّ الجيشُ هديتَه عليه ويُظمِئُ ويوردُه السَّرابَا

ترى جَلدَ الجمالِ عليه يَفنَى وتحسَبُها من اللَّهَثِ الكلابَا

الملك : لاتُراعِى فما على الجيش بأسٌ كلُّ شيءٍ على الحدود تهيَّا

قد وجدنا الجرارَ فى مصرَ والما ءَ ولم نَعدَمِ الرجالَ السُّقيَّا

فانيس : واشترينا الخفيرَ بالمالِ والحا رسَ والحامِىَ الأمينَ القويَّا

الملكة لفانيس :

كلُّ هذا فعلتَه أنتَ يا نَذْ لُ

فانيس : أجلْ ما أتيتُ أمراً فريَّا

إن قمبيزَ بى حنىٌّ وفرعو ... نُ أمازيس لم يكن بى حَفِيًّا

الملكة : وابنُه ما جنى عليك ومصرٌ ؟

فانيس : جَنيَا الطردَ والجحودَ عليًّا

أنا كالسيفِ لم يَضُنِّى كَمِىٌّ ... قدرمانى فاعتضتُ عنه كميًّا

الملكة : وجحَدتَ الذى طعِمتَ من النعمةِ

فانيس : لا . ما طعمتُ من ذاك شيًّا

كنت كالسيف كلما كافؤنى ... جعلوا السُّمَّ لى طعاماً وريًّا

الملكة الى قمبيز :

وهبكَ بلغتَ يا مولاىَ مصراً

الملك : وما ذا عندَ مصرَ

الملكة : تجيءُ غابًا

ترى أُسدَ القتالِ عليه شَتَّى ... تقلَّدتِ الصوارمَ والحرابًا

وثَمَّ ترى الفيَالِقَ من رُماةٍ ... تكادُ قِسِيُّهم تَرِدُ السحابًا

إذا نظروا على زادٍ غراباً ... أصابُوا بينَ عيْنَيْهِ الغرابًا

الملك يبتسم مستهزئاً :

رُماةٌ ؟

ثم الى فانيس والوصيفة :

حدثوها كيفَ أرمى
وكيفَ أصيبُ فى السُّحُبِ العُقابَا

الملكة : أأنتَ بجمعهم تُقتاسُ كسرَى
وأنتَ الموتُ حيثُ رَمَى أصابَا

الملك : إذَنْ ماذا ؟

الملكة : أخافُ عليك جيشاً
كمِّ كُومِ الحصى يُخْطى الحسابَا
وأخشى أن يقولَ الناسُ زوجى
غداةَ ذهابِهِ نسِىَ الإيابا

الملك لفانيس :

فانيسُ صَفِّق وناد
« » يا معشرَ القُوّاد

« يدخل الحراس والقواد »

قميز للقائد ميجا صاحب الاخبار :

ميجا تعالَ

ميجا : لبَّيْكَ رَبِّى لك التحيات والسجودُ

الملك للملكة :

يامَلْكةَ الفرسِ ذاكَ ميجا يعلمُ ما يحشُدُ الوجودُ
خريطةُ الأرضِ فى يديه السفنُ والخيلُ والجنودُ

الملك لميجا : ميجا تكلَّم ما حالُ مصرِ ما الجيشُ فى مِصرَ ما الحدود

الملكة : هاتِ ميجا قل تكلَّم

ميجا فى اضطراب : ملكَتِى

الملكة : ما الذى تدرى عن الجيش المجيدْ

ميجا : جيشُ مولاتى كالعهدِ به كاملُ العُدَّةِ موفورُ العديدْ

الملك فى غضب :

هاتِ ما عندكَ من أخبارِهِ
واخْشَ أن تَنقُص واحْذَرْ أن تَزيدْ

ميجا مضطرباً :

يا إلهَ الفرسِ لا تبرَحْ فَمِى
وأعِنّى . كيف أُبدِى وأُعيد

ثم للملكة :

إن وردَ السلم من كثرتهِ نسيتْ أظفارَها فيه الأسود

واختلافُ الجُندِ فيما بَيْنَهُمْ
أخذَ البأسَ وإن أبقى الحديد
أصبح الجيش

« ويسكت قليلا »

الملك لميجا : تكلَّم

الملكة : قل أَبِنْ

ميجا : كالقطيع اختلفتْ فيه الجلود

حُشِرَ اليونانُ فى رايتهِ وتراعى الزّنجُ واندَسَّ العبيد

وغَدَا كلٌّ طريدٍ لم يجدْ سببَ الرزقِ أتى الجيشَ بصيد

الملكة لنفسها: والخيل يا ميجا هناك؟

ميجا : قليلةٌ فى جَيشِ مصرَ قليلةُ الفرسانِ

الملكة : أسفاً على الفتيانِ أينَ حماسُهم قتلَ النعيمُ حميَّةَ الفتيانِ

الملك ملتفتاً الى ميجا :

مليكةُ الفرسِ ميجا قد اكتفتْ بيمانِك

فخذ مرازبةَ الفرسِ وامْضِ ميجا لشانِكْ

تتياس : قمبيزُ ما شئت فاصنع إنى أراكَ مُصرًّا
تُغيرُ أنتَ وتغزو ويحفظ الله مصرَا

قمبيز : وفارسٌ يا ابنةَ النيل ما لِفارسَ ذكرُ
تتياس : لا أيها الملكُ مالى فى غيرِ مهدِىَ فكرُ

قمبيز : تتياسُ اسمعى أنتِ تُسيئينَ الى مصرَا
غدًا يهلِكُ أهلُوها وتُمسى تحتَهم قبرا

تتياس : وقاها منكَ آمونُ ولا اسطعتَ لها ضَرّا

قمبيز : هذا التَّجنِّى كثيرٌ هذا لعمرى الغرورُ
لقد تحمَّلَ صدرى ما لا تُطيقُ الصُدورُ

ثم مستمراً : كفى عَبَثًا بسلطانى و بأسى كفى ما كان تتياسُ منكِ
غداً يتحدّثُ الرُكْبانُ عنى ويروى الناسُ مايروون عنك

كذبْتِ علىّ يا ابنةَ أبرياسِ
حذارِ حذارِ من بطشى وفتكى

أنا قمبيز ابنُ كسرى أنا جبار الوجودِ
وأنا النارُ أصولى و بنو النار جدودى

ويل فرعونَ ومصر من جنودى و بنودى

قمبيز لنفسه : رباهُ ويحى ويحَ لى رباهُ مالى لا أعى

رباهُ ناراهُ ما الذى أجـــدُ

كأنما النـــــارُ فىّ تتّقدُ

يا نارُ كونى لِى أورمازْدُ كُنْ عونى

م الى نتيتاس : انتظرى البطش يا بنتَ فرعون

أناقمبيز ابنُ كسرى أنا وحشٌ أنا غولْ

لستُ بالعجل أبالى وعلى النـار أبولْ

قمبيزلنفسه: قـد رجع الصفيرُ لى يـاليته لم يرجـــع

ما بالُ عينى أظلمتْ ما بـالُ ساقى جمَدَتْ

أين الطبيبُ أزْدَشرْ ؟

« ويغشاه الصرع »

الملكة بعد أن يأتى الطبيب :

هـذا الطبيبُ قد حَضَرْ

« يدخل الطبيب ويطلب نقله »

« الملكة — تدنو منه فى حنو وعطف وتقول : »

يا ويحَ زوجى ويحَه هـاجَ وعاده الصَرَعْ
يا نارُ كونى حوله أدرِكهُ يا آمونُ رع

« يخرجون به »

فانيس : الآن تتيتاسُ تعالَىْ إلى الهُدَى
تعالَىْ إلى الرأى الصوابِ تعـالِى
تتيتاسُ أنتِ اليومَ ملـكةُ فارسٍ
بلغتِ الذُّرَا من سُؤْددٍ وجـلالِ

الملـكة : ولـكن أبى فانيس.لا تنسَ ما أبى
وجَدِّى وأنى بنتُ أصـيدَ عالِى

فانيس : ولـكن ألم يخلعْ أباكِ أمازسٌ ويفتكْ به فى ثورةٍ وقتالِ
ويجلسْ على كرسىّ مصرَ مكانَه
ويخـــلفْه فى جاهٍ أفادَ ومالِ

الملـكة : أجلْ قد خُلِعنَا ملـكنَا وتصرَّفَتْ
بنـا سوقةٌ من جُندنا وموالِ

فانيس : إذَنْ فدعى قمبيزَ يثأر لزوجـه
ويضربْ بيُمْنَى أو يُصِبْ بشمالِ

دعيهِ يعاقب سارقَ التاج مثلما
يُعاقبُ فى منفيسَ لَصٌّ لآلِ

الملكة : تأمّلْ وحقّق من تخاطبُ يافتَى

فانيس : أخاطِبُ عقلاً من وراء جَمالِ
لقد قلتُ قولاً ليسَ يأباهُ عاقلٌ
فلا تنظرينى واسمعى لمقالِى

الملكة : ولكن أمامِى صورةٌ من خيانةٍ

فانيس : ومالَكِ يا بنتَ الملوكِ ومالِى

الملكة : وأنتِ تِيتَا ما ذا ترَيْنَ ؟

الوصيفة : خيانةً وأطماعَ قُوّادِ ولؤمَ رجال

الملكة : فديتُك من مصريةٍ

الوصيفة : بل أناالفِدَى لسيدتى من قدوةٍ ومثالِ

« الملكة لفانيس :

أتسمعُ كلبَ الصيد ؟

فانيس : حمقاء غرّةٌ ومالىَ ألقِى للحماقةِ بالِى

الملكة : عمّى لكَ يافانيسُ وامشِ بلا عصَا
ودونَ دليلٍ فى رءوسِ جبالِ

فانيس : لَكَ الشكرُ مولاتى

الملكة : لكَ الويلُ من فتًى فإنكَ من مَعْنَى المُروءة خالِ
أأُوطِيءُ خيلَ الفرسِ مهدى ومَلعبى
وتربةَ آبائى ومنزلَ آلِى
واشعِلُ نارَ الفُرسِ فى أيكةِ الصبَا
وما بوّأتنى من رُبًى وظِلالِ
واغمدُ سيفَ الفُرسِ فى صدرِ أمةٍ
نَمتْنِي وتَنْمِي أُسْرتِي وعيالِى
إذَنْ لا أوَى جدِّى السماءَ ولا أبى
ولا جلَّ عمّى أو تبارَكَ خالِى
وأفضلُ منى كلُّ ذاتِ مُلاءةٍ
وراءَ حُقولٍ أو وراءَ تلالِ
تَهُشُّ على شاةٍ وتحملُ جرّةً
وتَمْشِى على الوادى بغيرِ نِعالِ

« يدخل قمبيز ثم الحاجب ويقول :

إلهَ الفرس

الملك : ماذا ؟

الحاجب : يقولون ثَمَّ رُسْلٌ أتَوْا من مِصرَ بالنَّبأ العظيم

الملك : وما يقولون ؟

الحاجب: يقـو لون أمازيسُ هَلَكْ

الملك : ثُمَّ ؟

الحاجب: يقـولون ابنُهُ بسـاميتك قد مَلَكْ

الملكة لنفسها : مِصرُ . . . رُسْلٌ ؟ ليتَ شعرى ما الخبرْ

وطَنِي يا رَبِّ لا مُسَّ بشَرْ

قمبيز الملك ملتفتاً بالملكة والوصيفة :

يا مَلِكَةَ الفُرسِ أصْغِى

ويا تِتَا هـل سمعتِ

قـد ماتَ فرعونُ مصرِ

الملكة والوصيفة بصوت واحد :

تعيـشُ مِصرُ وتَبقَى

« سـتار »

الفصل الثالث

المنظر الأول

الاميرة تقريت على ضفاف النيل تشكو اليه وتنتحر بأن تلقى بنفسها فيه

ويحى لقد أودَتْ بىَ الأنانيَه
عِشتُ فما أحبَبْتُ الا ذاتيَه
ولا افتكرتُ بسوَى لذَّاتيَه
حتى قَذفتُ وطنى فى الهاويه
النيلْ . النيلُ بجنبى هاهيَه
أمواجُه تَهتِفُ بى مناديه
يا نيلُ يا قوامُ كلِّ شىٍّ
ومانحَ الحياةِ كلَّ حىٍّ
هىٍّ اغسلِ الذنبَ العظيمَ هىٍّ

ثم تلقى نفسها

الفصل الثالث منظر ثانه

« فى منفيس »

« جماعة من المصريين والمصريات يتحادثون ويتذاكرون بغى قمبيز »
« وجنوده وبعض ما أصاب الناس من المصائب من جراء الفتح »
« الفارسى — فى ساحة من ساحات منفيس . . . . . »

أحد الرجال لزميل له :

تعـــال يا (باطا) قـــل ليَ بالله
كيف ترى الحُكَما كيف ترَى الظُّلما

باطا : أصِخْ أَصِخْ يا دَادْ اسمع وكن عونى
قمبـــيزَ فى الظلمِ بألف فـــرعون

« ثم لهجار: وأنتِ يا هجـارْ ماذا تقولينـــا

هجار : آمونُ ذو المَنِّ يُبقِي الفراعينـــا
الفُرسُ فى مِصرَ طغيانُهم قـد زادْ
هُمْ صلبوا التمساحْ على ضِفـاف الوادْ

وكلّفوا العصفورْ يمشى مع الصيّاد

« تقبل امرأة مصرية عجوز »

فيقول أحدهم : وهـــذه دوباره

آخر : الشيخةُ الثرثاره

الأول : هلمّى يادوبارا هاتِ اذكرى الأخبارا

دوباره : لا تسألونى ما الخبَر مِصرُ ترى اليومَ العِبَر

لكن صَهِ حذارِ لا يدرينّ دارِ

عارضَنى الساعةَ فى طريقى

فتَى مليحُ الحسنِ والبريقِ

يسألهاسائل: مِن الجنـــود ؟

العجوز : لا ! من القوّادِ

عالى المكان ظاهرُ الميـــلادِ

آخر : وما أتى ما فعـــلا ؟

العجوز : عانَقنى وقبّـــلا

الأول : وأينَ ؟ فـــوق فمِكِ الدُّرىّ

آخر : أو مِن على جبينِكَ البدرىّ

آخر : أو فوق خدّ مثلِ روثِ البغلِ

الأول : أو فوق ذقنٍ مثلِ كعبِ النعلِ

العجوز : أهذه نجدتُكُم يا فتيهْ

أهكذا تُحمَى بمصرَ النسوَه

يا أسفَا على القرونِ الخاليَه

يا أسفا على النفوسِ العاليَه

« وتنصرف مغضبة مهرولة »

أحدهم ويرى شخصا مقبلا :

هذا (أها) مِن أينَ جئتَ ؟

ثانى : كيف أنتَ يا أها ؟

أها : من ضيعتى

الأول : وكيف هِى ؟

أها : قد لَقِيَتْ ما ساءها

إوَزّى كلّه طاحَ وبَطّى كلّه طارا

وأختى خطِفَتْ منى وزوجى جُللَتْ عارا

الجماعة : إذن لقد آن أن تثورَ نَطْرُدُ قمبيزَ والجنودا
الغابُ فى شقوةٍ وبؤسِ فما الذى يُمسِك الأسودا
أحد الجماعة: خذُوا حِذْرَكم أقبلَ الطاغِيَه مع الوزراء وفى الحاشِيَه
وذا السّيفُ فى يدِ جلّاده يُسَلُّ على الأرْؤُس العاليَه
آخر : تلك مصائبٌ وقَدْ صُبَّتْ على هذا البلَدْ
امضُوا بِنَا امضُوا بِنَا ليَسمَعَنّنَا أحَدْ

« ينصرف المصريون ويدخل قمبيز فى وزرائه وقواده ثم يقبل جنود »
« يسوقون أسرى من النوب ... »

قمبيز : ماذا يَسُوقُ الجنودُ مَنِ الوجوهُ السودُ ؟
هذى عفاريتُ
وزير : لا. بل مولاى هذى قرودُ
قمبيز : لكنّهم حيثُ دارتْ رَحَى القتال أُسُودُ
بلَوْنِهم فى القتالِ لما حَوَتْنَا الحدودُ
قائد : النوبُ جُندُ بِسَامَا
قائد آخر: بل هم أشَدُّ جنودِه
وأثبتُ الجيشِ يومَ القتالِ تحتَ بنودِه

قمبيز : يا جُنْدُ حلّوا عن الأسرى وثاقهمُو
خَلّوا عن السُّودِ قد أعتقتُ أقرانى
ويابنى النوبِ مُلْكى لن يضيقَ بكم
من شاء فليبقَ فى مُلْكى وسلطانى
والجيشُ دارُ كُمُو إن كان يُعْجبُكُم
أن تَلْحَقوا بمُشاتِى أو بفِرْسانى

الاسرى النوب :

يا بنِى النوب هَلُمُّو رقصةَ الحربِ لكسرَى
سيِّدُ الأرضِ عَفَا عنّا فما نحنُ بأسرَى

« ثم يفك وثاقهم فيرقصون رقصة الحرب وينشدون »

النّوبُ جيلْ ، حرٌّ أصيلْ ، يقضِى الديونْ
نحنُ الأسودْ ، حُمْرُ الجلودْ ، حُمْرُ العيونْ
لنا لِبَدْ ، من الزَّرَدْ ، هى الحصونْ
نغشَى القتالْ ، ولا نُبالْ ، طعمَ المنونْ
نحن شعوبٌ وشِيَعْ وراء أسوانَ نَقَعْ

عروشُنا من الجريدْ تيجانُنَا من الوَدَعْ
نحن قبيلَ الشُّلُكِ فى العنجريبِ نَتَّكِى
والصيدَ هَوَى والقنَص ونَطَّلِى بالوَدَكِ
للحربِ نمشِى الهروَلَا نبعثُ فيها الجلجلَه
ممزوجةٌ بالولولَه

« وبعد الفروغ من الرقص يقبل عليهم قمبيز ويقول »

قمبيز : زِه يا جُنودْ زِه يا أسودْ

كبير النوب لخازن الملك :

زِه مرتينِ هاتِ النقودْ

« يدفع الخازن اليهم مالا فيأخذونه وينصرفون »

« يتراآى فرسان ثلاثة »

قمبيز : مَنِ الغُبار ؟

وزير : رُسُلُ

قمبيز : ما ذا الينا حَمَلُوا

قائد : هاهم قد ترَجَّلُوا

« يقف الفرسان بحضرة الملك »

قمبيز : ما ذا وراء الرُّسُلِ

أحدهم : الدعـــواتُ للملك

قمبيز : ما ذا لديكم ما الخبرْ ؟

أحدهم : حوادثٌ ذاتُ خطرْ

قمبيز : حوادث ؟ قل أخا الهيجا تـكلَّم

الرسول : بسامَتيكُ يا مولاىَ خانَا

الوزير الاكبر : بسَامتيك خان ؟

الرسول : أجل أميرى

قمبيز : وكيف ؟ وما أتى ؟

الرسول : نَقضَ الأمانَا

قمبيز : وما برهانُكم

الرسول : كُتبٌ ورسْلٌ يُثيرُ بها القُرَى آنًا فآنا

قمبيز : وهل وجدتْ دعايتُه سميعا وهل حلَّتْ من الوادى مكانا

الرسول : أجابت دعوةَ المخلوعِ مُدنٌ ومدنٌ ما جعلنَ لذاكَ شانَا

قمبيز : وأينَ فرعونُ بَسْمَا

الرسول : فى منف يغـدُو ويروحْ

حُـــرٌّ كما شئتَ له بين القصـورِ والصُّروح
من معبـدٍ لمعبـدٍ ومن ضريحٍ لضريح
وحولَه كهّانُ منفيـــسَ يجُرُّونَ المسُوح
وكلُّهم مُشيرُه

الوزير الاكبر : بئسَ المُشـيرُ والنَّصوحْ

آخر : من لم يكن كاهناً في مصرَ أو ملِكا ولا تراه لهذا أو لذا تبعَا
فلا تقيسَنَّ في هـذى البلاد به
إلاَّ المواشيَ والأحجارَ والسِّلَعَا

قمبيز : وزرائي ودَهاقِيني انظروا انظروا ذلك فرعون « بَسَمَا »

الوزير الأكبر :

يدفعُ القوادُ والجندُ به وهو في القيدِ يَجُرُّ الأذهمَا

قائد : كادَ فرعونُ من استكباره أنْفَهُ يدفعُ في أنف السما

« فرعون يقف بين يدى قمبيز فى عظمة وإباء واستكبار »

قمبيز : بسامتيـــك

فرعون : قمبيز

قمبيز : أتدعو باسمه المَلِـــكا

فرعون : غداً تَفقِدُكَ الفُرسُ ويخْلُوا عرشُها منكا
ومُلْكٌ قد مضَى عنّى سيمضى فى غدٍ عنكا

« قمبيز يدخل فى الغضب شيئا فشيئا »

قمبيز : وهذا الفتح يافرعون؟

فرعون : عدوانٌ وإجرام
أما عندَك يا قمبيزُ للنَّكبةِ إكرامُ

قمبيز : عفوتُ عنكَ أمِس يا بسَاما فلم ترْعَ الوفَا

فرعون : يا عجبَا يا عجبَا عبدٌ عن الرّبّ عفَا

قمبيز هائجا: خـذُوه بالخنـاجِر سُلُّوا لسَانَ الفاجِرِ

فرعون فى عظمة وصبر وثبات :

هاتوا سيوفَ الفُرس ، هاتُوا القَنا ، هاتوا المُدَى
هاتوا جبَالَ الحديدْ

لا تَحْسَبُونى بشراً بائداً فرعونُ حىٌّ خالدٌ لا يَبيدْ

قمبيز : إذن خـذوه بعيدَا صُبُّوا عليـــه الحديدَا

« يأخذه الجند ويخرجون به »

« يدنو وزير شيخ من قمبيز ويقول له »

القائد : مولاىَ تلك غضبةُ المقهورِ ونزوةُ الضرغامةِ المأسورِ
مولاىَ بالنارِ بقُدسِ النورِ اغفر لهذا الصارمِ المكسور
فأنه ضحيةُ الأمـــورِ

قمبز صائحا بالجند وهم ذاهبون بفرعون بسما :

إذن رُدّوا الأسيرَ إلىَ رُدّوا فأنّا ما انتهينا منه بعد

« يرجع الجند بفرعون ويقفونه أمام قمبز »

قمبـيز : تعالَ فرعون بسما تعالَ منى ناحيه
لقد عفوتُ مرةً وقد تكونُ الثانيه

فرعون : لا مرحباً أمسِ ولا اليومِ بعفوِ الطاغيه

قمبيز : تأمل هـلْ لبستَ اليومَ ذلاً
وكنتَ تجرّ أمسِ الذيلَ تيهـا

فرعون : كذا الدنيا تُغيّرُ يا بنَ كسرَى
فخفّها إنهـا لا خـــيرَ فيهـا
وهبك قهرتـنى أقهرتَ مصراً

قمبيز : أجلْ ووضعتُ سيفى فى بنيها

وبعدَ غدٍ أطوّقها بنارٍ تطوفُ على البلادِ وما يليها
وتجعلُ من هيا كِلها رَماداً وتُنزلُ فى الأزقةِ مُترَفيها
وتدعَـكُ فى ترابِ الذل أنفا
يطولُ على النجوم ويزدريهـا

فرعون : رويدَك يابنَ كِسرَى قف تمهّلْ
فعادةُ مصرَ تقهرُ قاهريهـا

قمبير : رويـــدَك أنت يا فرعونُ إنى
إذا حطّمتُ مصرَ فمن يقيهـا
أليستْ فارسٌ والأرضُ تحتى
وأمرى فى الجنوبِ وفى الشمالِ
وقـد غطّتْ فضاء الأرضِ خيلى
وهبتْ فى السهولِ وفى الجبالِ

فرعون : شمخت بخيلك يا فارسىُّ فماذا صنعتَ بخيلِ القدرْ
تأمل مكانى وما حلّ بى الم تتعظ بى الم تزدجرْ

قمبيز : ما أنت يا مخـــدوع

فرعون : فرعونُ بسما

قمبيز : بل أنت مأسورٌ عليك قيودُ

وغداً ينوبُ عن القصورِ ورُحْبِها

سجنٌ يضيقُ ومنزلٌ مسدودُ

وتُدَسُّ فى الأجداثِ غيرِ مُحنّطٍ

يلهو بهيكلِك البِلى والدُودُ

فرعون : قمبـــيز

قمبير : فرعون بسما صلَّ ابتهل

واهتف لعلَّ العجلَ عنك يذودُ

أنظر الى أينَ انحططتَ

فرعون : كذبتْ لَـــمْ

ينحطَّ للشرفِ الرفيعِ عمودُ

إن الجواهرَ فى التُرابِ جواهرٌ

والأسد فى قفصِ الحديد أسـودُ

قمبيز : سنرى هلّموا يا جنودُ اسيرَكم

عودُوا به من حيثُ جئتم عودوا

قمبيز مستمراً :

وأينَ نفريتُ ابنةُ الكذّاب

قد آن أن ينالها عقابي

الوزير الأكبر :

نفريتُ من مخافة الحساب ألقتْ بنفسها إلى العُباب

وذهبت

قمبيز ويضحك ضحكة جنونية :

لكن بلا إياب

« تحضر نتيتاس وتقول »

نتيتاس : قمبيز ؟

قمبيز : نتيتاسُ ؟

نتيتاس : أجَلْ

قمبيز : وماذا أتَى بِكْ ؟

نتيتاس : أتيتُ انقذُ قومي وموطني من عذابِكْ

قمبيز : والزوجُ يانتيتاسُ ؟

نتيتاس : وأُنقِذُ الزوجَ أيضا

قمبيز ساخرا : ومِـــمَّ ؟

نتيتاس : من شـدةِ البلاء وغضبِ الأرض والسماء

قمبيز فى غضب :

إذهبى يا بنتَ فرعـونَ إذهبى
اعزُبى يا حيةَ النيل اعزُبى

فانيس : تأخرى سـيدتى لا تعرضى لغضَـبه

قمبيز : فانيسُ أنت ههنـا

فانيس : مولاىَ لى لم ينتبه

نتيتاس متهكمة : مـولاكَ كم تخـدعهُ

« « مـولاكَ كم تسخَرُ به

قمبيز الى فواده : أحـقٌّ هـو بى يهـزأ

ثم الى فانيس : أحقٌّ أنتَ بى تَسخَرْ

وفى الأحـلام تبـدو لى وهـذا الوجـه لى يظهرْ

وقد يصفرُّ كالليمو نِ أو يحمَرُّ كالبنجر

« ويهجم عليه بالخنجر »

فانيس : أميرى سيّدى ملْكِى

قبيز ويطعنه بالخنجر : أغِثْهُ أيها الخنجَرْ

« ضجة فى صفوف المصريين »

أحدهم : قد هلك الواشى

آخر : قد هلك الخائنْ

كافاه قمبيز شرَّ المكافاةِ

فانيس بعد أن يضربه قبيز بالخنجر :

آهِ من الخَنجرِ ما أحرَّهُ آهِ من الحِمامِ ما أمرَّه

« لقبيز: قمبيزُ شَلتْ يمينُكْ ولا أفاقَ جُنونُك

« لنفسه: ويحى أرى عينى تَغيمُ وساعتى

تدنو وأشْعرُ بانقطاعِ فؤادى

الذنبُ لِى أنا قد خرجتُ لفارسٍ

ومنحتُ مجنوناً هناك وِدادى

فانيسُ أنت نشأت جُنديا فمُتْ
كالجنـد والق مصارعَ القوّادِ
سيانِ حينَ تُحطُّ فى جوف الثرى
موتُ الفـراش وموتةُ الجـلادِ
يا نفسُ لم أحملْ عليكِ دَنيّةً - لاقى المنيّةَ بالضمير الهادى
يونانُ تغفرُ لى وآلهتى بهـا
سَهِرَتْ عيونُهمو على أولادى
قد خُنتُ مِصرَ وخُنتُ ساداتى بها
لـكننى ما خنتُ قط بلادى

اصوات من جانب المصريين :

فانيسُ لا علمَ لهُ بما جرَى قد قتلوا أولاده وما درى

« تظهر الجند يدفعون فتى فيقول قمبيز »

قمبـيز : وهذا الفتى مَنْ ؟ ولِمْ سُقتموه إلىّ

جندى : فـــتًى فى النّواحِى يَرُودْ

قمبـيز : وما كان يأتى ؟

الجندى : يُثيرُ البـــلاد
ويُغرِى القرَى باغتيـالِ الجُنودْ

قمبيز : تنحَّوْا به فاقطعوا رأسَه عساهُ لأمثـالِها لا يعودْ

« نقباس تسمع وهى متراجعة ضجة فتنظر فيستوقفها المنظر فتقول . . . » :

ما ذا رأيتُ وما ذا ؟ سمعتُ ؟ مَن يدفعـونا
مَن ذا إلى النـار ساقوا مَن أوْرَدُوا الأتُّونا
تاسُ ؟ أجلْ هو تاسُ أتوْا به المجنـــونا
قَسَا الجنودُ عليـــه والجُنـــدُ لا يرحمونَا
ما باللهِ عرفَ الوفاء وكيف ثابَ إلى الرّشـادْ
ربىّ . أأشفعُ فيه ؟ لا . لا كيف أمنعُهُ الجهادْ
لا . لن تحولَ شفاعتِى بين الضّحيةِ والبلادْ
هذه ميتـــةُ عِزٍّ امضِ تاسُ بسـلامِ
قد صفحنا لكَ عن ذا كَ التجَنِّى والأثامِ
لا تمُت بالكاسِ والطّا سِ ولكن بالحُسَامِ
سرَّنى أنك تقضِى للحِمَى حقَّ الزِّمامِ

وشفانى أنك الذا ئدُ عن مِصرَ المحامى
زُلْ لتبقى كودادى مُتْ لتحيَ كغرامى

ثم تتراجع وتقول :

والآن إلى طيبةٍ والصعيدْ لحشر الدُّعاةِ وحشْدالجُنودْ
وقهْرِ العدوّ وإرغامِه وقَذْفِ المُغيرِ وراء الحدودْ

« وتخرج »

يستجمع ناسو ويقول ، وكأنما سمع ما قالت نتيتاس :

عفت نتيتاس فيامرحبا بك اليوم ياموت من زائرِ

قمبيز الى وزرائه :

ما الرأى يا وزرائى فإننى لستُ أدرى
ماذا بأبْنـاءِ مِصرٍ من اختيالٍ وكِبْرِ

قائد : نحن بنو الشيطان وهم بنو الإنسان
ثان : والناسُ من طينِ السَّكَكْ وهم سُلالةُ المَلَكْ
قمبيز : أبىٌّ لعمرى فرعونُ مِصرٍ ويُشبهُ قومُه فى إباه
سأدْعكُ فى التربِ أنا فهم وألْصِقُ بالأرضِ تلك الجباه
قائد : سيّدى لا تُبد رِفقا وامضِ فى الأعناقِ دَقّا

« ثان : واهدِمِ الأَبْراجَ هـدْمَا واحـرق الأجْرانَ حَرْقَا
« ثالث : ودَعِ الوادىَ قاعَا واحلق الشَّطْئَينِ حَلْقَا
قائد رابع عالى السن :
سيـــدى بل تَرَفّق فـــهو بالقادر أليَق
قمبيز يضحك ضحكة جنونية :
خُذوا يا قادةَ الفُرْس أخاكُم إنّه جُنّا
قائد : أميرى خَرَفَ الشيخُ فلُمَّه اوْ لُمِ السِّنّا
قمبيز يغمد خنجره في القائد الشيخ ويقول :
خُذْ طعنةً فيهـا الشِّفَا تَصرفُ عنكَ الخَرَفَا
القائد وهو يتلقى الطعنة :
يا ويحَه قد عادَه الجُنون بل أنا حين هجتُه المجنون
قمبيز : وأيسُ معبودُهم أين هُو ؟
قائد : هـــو العجلُ
ثانى : وهو الذى أَلَّهُوا
وزير : ثَوَى العجلُ فى حُجراتِ الجلال
قائد : وقـد نَعَمُوه وقـد رَفَهُوا
الثانى : وليس إلهاً ولـكنّما على الشَّعب كهّانُه موّهُوا
أحد القائدين لزميل له :

هُمْ يعبدُونَ العجلَ يا أزدشر

أزدشر : يالكَ من أحمقَ ثرثارِ

ونحنُ ؟

الأول : النَّارُ إلهٌ لنا

أزدشر : ما الفرقُ بينَ العجلِ والنَّارِ

الأول : أفيلسوفٌ أنتَ ؟

أزدشر : بل مُلحدٌ

الأول : أنتَ؟ إذن عِشْ وامضِ بالعارِ

ما كانت النارُ بمحتاجةٍ إلى قليل الدِّينِ كفَّارِ

قمبيز : وأينَ هو العجلْ ؟

قائد : فى قُبَّةٍ تليقُ لكسرى وآبائِ

قمبيز مغضبا مشيراً :

أمسِكُوا الكلبَ خذُوه ، أدِّبُوه

ما أَبِى العجلُ ، بل العجلُ أبُوه

القائد : الويلُ لى جُنَّ

صديق له فى أذنه : ما جُنَّ إلاَّ كَا

فأنتَ ساويْتَ بالعجلِ مولاكا

آخر له : أهكذا يا أحمقُ السلوكُ أهكذا يُخاطَبُ الملوكُ

« يؤتى بالعجل ، فيثور »
« لرؤيته جنون قمبيز »

قمبيز : والآن ماذا رأيتُمْ وما الذى تفتُونا

وما الذى نحنُ بالعجلِ يا تُرَى صانعونا

قائد : يَصُبُّ كسرَى عليه من البلاءِ فُنُونا

آخر : عَلِّقْهُ بين الأرض والسماءِ واتركهُ للغِرْبان والحداءِ

آخر : إدْفِنْهُ فى الأرضِ حيًّا وهِلْ عليه التُّرابَا

الأول : إذبحْهُ ذَبْحَ الخَرُوفِ

الثانى : إخْنُقْهُ خَنقَ الدَّجاجَه

آخر يتهكم : إصْلِبه فوقَ عمُودِ من هيكلِ المعبودِ

وزير : إحرقْهُ مولاىَ بالنارِ

قمبيز : إخْساءُ فهذا أعظَمُ العارِ

ما ذا يقولُ الناسُ عنا غداً ألقوْا إلى النيرانِ بالفارِ

قد دنَّسُوها وهى معبودُهم من جُثَّةِ العجلِ بأقذارِ

« ويظهر الغضب على قمبيز فيقول له قائل منهم »

قائد : مولاىَ ما ذاك فارٌ بل ألفُ فارٍ وفارِ

آخر : يا سيدَ الأرضِ أبشِرْ رأىُ الوزيرِ أصابَا

غداً يقولونَ بمَنْفِيسِ تغدَّت النارُ بأبِيسِ

قمبيز مقتنعاً ومفهماً :

أجلْ غداً يُقالُ فى الأخبارِ العجلُ قد باتَ طعامَ النّارِ

ثم يقبل على أبيس ويخاطبه :

إلهَ النيلِ لِمْ تَغْضَبُ لِمْ تَكْسِرُ جَفْنَيْكَا

تأمّلْ شَبَحَ الموتِ ألمْ يبدُ لعينيْكَا

وهذا خنجرى الماضِى فخُذه بينَ قرنيْكَا

« ويطعنه ثم يتراجع خطوة ويقول » :

إلهى ما ترَى عينِى خيالاتٌ وأشباحُ

وقتلَى قد غدوْا حولِى وقتلَى غيرُهم راحُوا

وجَرْحَى جذَبوا ثَوْبِى وجَرْحَى غيرُهم صاحوا

وهـــذا خنجرى الماضِى فخُذه بينَ قرنيْكَا

هـــذى عواقبُ بغْيِ هـذا القصاصُ المُتَاحُ
لا بُدَّ من عـدلِ يومٍ يرتَدُّ فيه الســـلاحُ

قائد : ويْحَ لقمبـــيزٍ

آخر : ويحَ له جُنَّا

الأول : مَن يُقتلُ اليومَ مَن الشَّقِى مِنَّا

قمبيز مستمراً :

هذا أخى يصيحُ بى وتلك أختى تَنتَحِبْ
وآخرٌ يســـأَلُنى أينَ دَمِى؟أينَ؟أجِبْ

قائدآخر : هـذا ضميرُه صَحَا هذا ضميرُه انتبَهْ
حتى رأى آثامَه ولم يكُن لها أبَهْ

آخرلنفسه: ثارَ به ضميرُه

« ثم لزميل له همساً :

وما الضميرُ حيدَرُ ؟

حيدر لزميل :

سريرةٌ تندَمُ أحيا نًا وحيناً تزجُرُ
ويرجعُ الناسُ لها إلا امرؤٌ لا يشعُرُ

الاول رستم لحيدر :

وأينَ منزلُ الضمير ؟

حيدر : موضعُ من الجسدْ

انظُرْ . هنا يا رستمُ القلبُ وهاهنا الكبدْ

« ويشير الى اعلا الصدر وأسفله والى ما بينهما (المعدة) »

ثم مستمراً: وها هنا الضميرُ بين القلب والكبدِ قعدْ

رستم : هنا الدَّجاجُ والحمامُ ها هنا بلا عَددْ

حيدر : والبَطُّ أيضاً والإوَزّ والحمارُ والوتَدْ

وكلُّ ما تَسرِقُ أو تخطَفُ من هذا البلد

رستم : حيدَرُ هل يُجْتَرَعُ الضميرُ أو هل يُزْدَرَدْ

وهل له حوصلةٌ وهل له رجلٌ ويَدْ

حيدر : يا أخى إنّ الضميرَ النَّفْسُ أو بيتُ الشُّعُورْ

وهو فيلٌ فى صدورٍ وهو فأرٌ فى صدورْ

وجبالٌ من حديدٍ أو جِبالٌ من حريرْ

وسعيدُ الناسِ من لم يَشْكُ من وخْزِ الضميرْ

قميز يقوم هائجا وكأنما يفر من شبح شقيقه الذى قتله :

ماذا بيَا ؟ ما ذا بيَا هـــذا شقيقى بُرديا
هـذا شـقيقى برديا وخنجرى فى صـدره
جئتَ أخى تجـــزِى أخاكَ عن قبيح غـدره

« ثم يزداد هياجاً ويفر من شبح أخته وزوجه التى قتلها »

أتوسةُ أختى ألا تصفحين أتوسةُ زوجى ألا تغفرين

« ثم ينظر يمينا ويساراً وهو كالمجنون ويقول :

آهِ ليَهْ آهِ ليَهْ ما هـذه الزّبانيَهْ
كَتيبةٌ بموضـعٍ وعسكرٌ فى ناحيَهْ
وأرْؤسٌ بوَهْـدةٍ وأرجـلٌ برابيَهْ
كلٌّ يصيحُ رُدَّروحى رُدَّ لى دمائيَـــهْ

قميز — مع الاشباح

ويـلى من المـاضى ومن أشباحه
هـذى خيالاتُ الزمانِ الخالى
عجبُ العجائبِ ويحَ لى ماذا أرى
شبحٌ . أجَلْ شَبحٌ وطَيفُ خيال

شبحٌ كالملَكِ الوا قى لِعينَيَّ يلوحْ
شبحٌ كالزنبقِ النا عِمِ يَغْدو ويروحْ
ظَهرَ الحسنُ عليه وسرى الطيبُ يفوحْ
تمثالُ نتيتاسَ حولَ مذاهبي أحببْ بنتيتاسَ والتمثالِ
ما بالهُ ألقى عليَّ سكينةً وأراحَ وِجداني وأنعمَ بالي
زوجاه نتيتاسُ ملْكةَ فارسٍ
مالِي حُرِمْتُ حنانَ قلبِك مالِي
يا ليتني لم أسمع الواشي ولم
أخرج حِيالَك من قديم ضَلالي
قد ساءَ حالِي في غيابِكِ فارجعِي
هيهاتَ بعدَكِ من يرقُّ لحالي
أأراكِ عندي والأمورُ رخيَّةٌ
وأراكِ عند شدائِدِ الأهوال
بالله يا طيف الحبيبةِ قُلْ لها
خلَّفتُ قمبيزاً بأسوأِ حال

صِفنى لها تعساً كما شاهدتنى
قد عادنى صَرعِى وجَدَّ خَبالى
يا بنتَ مِصرَ ويا يتيمةَ تاجِها
عودى فِداؤكِ دُولتى ورجالى

ثم مستمرا : طابَ وِردُ الحِمامِ يا نفسُ هيَّا
خنجرى خنجرى إلىّ إليَّا

« ويطعن نفسه بالخنجر ويقع »

جماعة من الفرس :

يا فُرسُ يا قومَ كسرى النّازلينَ السّحابا
كسرى مضى للنارِ شُقّوا عليه الثيابا
وحَطّمُوا فى ثَراهُ سيوفَكُم والحِرابا

« كبراء الفرس يتشاقون الثياب »

أحدهم لآخر :

هاتِ ثيابَكْ خُذ ثيابِى
تعالَ خُذ قميصِى واعطِنى قميصَكْ

« يمزق كلاهما قميص الآخر »

مصرى من الحاضرين لآخرهما :

أنظر أخى الفرسَ وما نابَهُمْ
شَـــقُّوا على المجنون أثوابَهمْ

الكهان لجماعة المصريين :

يأيّهـا المرْضَى اسجدُوا على دماء آبس
ويا اصِحّـــاء انْهَلُوا من دَمِـــهِ المقدَّسِ
بالشقَـــاءِ جَسَدِ فى دمِـــهِ لم يُغمَس

المصريون يتشاقون الثياب :

فارسى الى آخر :

أنظرْ الى أبناء مِصرَ فان أمرَهمُو عُجابْ
أنظر ألستَ تراهُمُ شقُّوا على العجلِ الثيابْ

وزير فارسى يخطب المصريين :

أيّها الكُهّانُ من شَتَّ الرُّتَبْ
عَظُمَ الخَطْبُ فما تُغْنِى الخُطَبْ
إن كسرَى تغفرُ النارُ له
كان فى مَصرعِ أبيس السَّبَبْ

أيّها الشَّعبُ

مصري لرفاقه : ميـــلوا اسمعُـوا
كيف يُنْشِي المستبدّونَ الخُطَبْ

الوزير مستمراً :

قد أتى قمبيزُ كسرَى ما أتَى
وهو مدفوعٌ بشيطانِ الغَضَبْ

مصري لاخيه بصوت منخفض :

ليتَه بالَ على نيرانِـكم بَوْلَةً تُطفِي لظَاهَا واللَّهَبْ

الخطيب الوزير :

نحن لا نُســـألُ عن فَعْلتِه
قد جنَى الرأسُ فما ذَنْبُ الذَّنَبْ
أيّها الكُهّانُ قد حَلّ على ربِّكم أبيَسُ مقدورٌ غَلَبْ

« ثم ملتفتا بالشعب قائلا :

مالى أرى من جانبِ الشَّعْبِ
بوادِرَ الفِتنَه والشـــغبِ

قائد فارسي: ما اغْضَبَ الشّاء من الجزّارِ
حذارِ حـــلمَ فارس حَذارِ
لا تقفُوا لسَيْفِها والنّارِ

« تتفرق الجماعة هنا وهناك ويقف جماعة من المصريين فيقول أحدهم »
أحدهم لزميل له .

ماذا جرَى ؟

زميله : أما ترَى ؟ على الثَّرَى هذا الدَّمَا

آخر : آبِسْ عُقِرْ آبِسْ نُحِرْ سَاءَ الخَبَرْ ما أَشْأَمَا

الثانى : حَامِى الحِمَى ما استَسْلَمَا لكن سَمَا إلى السَّمَا

آخر : لقد وهمتَ يا أخِي أفِقْ وراجع الرُّشْدْ
أبِيسُ فارق الوتَدْ وسارَ رحلةَ الأبَدْ

الأول : العمَى يا أخِى العمَى اترك الأرضَ والدَّمَا
وتأمَّلْ معى السَّمَا اتَّخذَ الجوَّ سُلَّمَا
هو هذا تبَسَّمَا وعلى الجَمْعِ سَلَّمَا
وإلى الخُلْدِ قد سَمَا

الثانى : عجيبٌ شأن أبيسٍ لأبيسَ جناحانِ
وهذا الرِّيشُ من دُرٍّ وياقوتٍ ومَرجانِ
وهذا هو يَرعاكَ بعينيهِ ويَرْعانِى

اخر لزميلين له :

أنظر «أنى» أسمع «فُتَا» أبيسُ بالفُرس سَخَرَ
جَنَّنَ قمبيزَ ولَـــمْ يَزَلْ به حتى انتحَرْ

شيوخ الكهان :

بُورِكْتَ يـــا أبيسْ يا صاحبَ المجْـــدِ
يا موضِعَ التَّقديسْ ومـــنزِلَ الحَمْـــدِ
سِرُّكَ فى منفيسْ وأنتَ فى الخُلْـــدِ

شبان الكهان :

أبيسُ سِرْ للسماء وانزل مع الخالدينْ
وخَـــلِّ تلكَ الدِّماء تُحاسِب المعـــتدينْ
أنتَ سماء الجلالْ حِمَى الديارِ الأمينْ
القَرْنُ كالشمسِ طالْ وعَـــزَّ فى العالمينْ
يا صورَةً من فُتاحْ ومن ســـناه المُبينْ
هـذا شعاعُ الصباحْ أمْ غُرَّةٌ فى الجبينْ

« ختـــام »

(نظرات تحليلية فى الرواية)

تمهيـــــد

قصـد « المؤلف » الى أن يقيم دعائم الرواية على المعنى السامى الذى ينتهى اليه شرف الانسانية . وهو التطوع بالنفس اجابة لداعى الوطن فى ساعة العسرة . ولقد تراءت فى رواية « قمبيز » فكرة الفداء والتضحية بالنفس من أجل الوطن ، وفى سبيل وقايته وسلامته . فمهما تنوعت حوادث « الرواية » واشتبكت مواقفها ، وراعت مشاهدها فلست مستبقيا فى قرارة نفسك الا اعجابا بالغـا « بنتيتاس » تلك الفتاة الأميرة المصرية التى اختارها « المؤلف » رمزا للتضحية وصورة للفداء من أجل الوطن وذكرى الجدود ومهوى الأفئدة .

ولقـد وفق « المؤلف » توفيقا كبيرا لأن يصور جوانب تلك النفس العالية ، وأن يصبغها بالألوان التى تصبغ النفوس البشرية من غضب ، وحقد ، وهياج ، وسكون ، ورضا ، وسخط ، وحب ، ووفاء ، غير أنه استطاع الى جانب ذلك أن يجعل فيها لون التضحية

بالنفس والجود بها أسطع لون ، وأبهر منظر . واستطاع أيضا أن يشتق من تلك الفضيلة — فضيلة التضحية — جميع الخلال الكريمة من ود وتعطف وبر ورحمة . ثم أبان كيف يمتزج معنى الفداء بالنفس فتعظم النفس وتستحصد وتتغلب على جميع الهنات والنقائص البشرية .

وإنى لزعيم بأن كل مطالع لتلك « الرواية » سيرى أن قد اجتمع فيها : الحكاية ، وحسن الأداء ، وسمو المغزى . وسيرى أيضاً أنها أشبه « بمرشح » تلتقى لديه ينابيع الحياة . ثم تروق وتنجلى عن الحكمة الصافية ، والعظة البالغة و بينهما فضيلة أفناء النفس لحياة الوطن وتلك أسمى فضائل الوجود .

وإنى لزعيم أيضاً بأن المتتبع للرواية إذ يخلص الى نهايتها سيتردد فى تسميتها !! أيسميها رواية (قمبيز) أم رواية الضحية المصرية لانقاذ الوطن المصرى !!

لمحة تاريخية فى عصر الرواية

(٢)

فى سنة ٥٦٩ قبل الميلاد كان يحكم مصر الأسرة السادسة والعشرون وكانت عاصمة الملك (منفيس) ومقر البلاط (صا الحجر) وكان على العرش حين تبدأ إحداث الرواية (أبرياس) وكان ملكا قد اشتهر بالضعف السياسى فى الداخل والخارج . فما هو إلا أن أتيحت فرصة لبعض قواده واسمه (أمازيس) حتى نادى بنفسه ملكا على مصر فى أثناء ثورة عسكرية فى (ليبيا) وعاد بعد ذلك الى مقر الملك فأنزل (أبرياس) عن عرشه وقتله ثم استوى هو على عرش مصر .

وكانت سياسته ترمى الى الاستكثار من العناصر الأجنبية يحشرهم فى صفوف الجيش ويتخذهم عدة لنفسه وبخاصة طائفة الأغريق الذين اصطفاهم ليكونوا عوناً له فى صد غزوات الفرس عن مصر .

ولقد بالغ (أمازيس) فى اصطناع الاغريق ، وأوسع لهم فى جنبات الوادى ، وأقطعهم مدينة (نقراتس) فى الدلتا . فاصطبغت

بالصبغة الاغريقية واستبحر عمرانها،وراجت أسواقها التجارية ،وكان ذلك موثقا ومدعما ما بين (أمازيس) و بين الاغريق غير أن تلك السياسة قد ألبت عليه المصريين الذين رأوا سيل الغرباء يتدفق على بلادهم و يتسرب الى نواحى الحياة الاجتماعية والعمرانية والسياسية ، وفوق هـذا فقد صار جيش البلاد أوشابا واخلاطا من زمر الشعوب ليس له بأس ولا لديه حميـة . ولم يبق للمصريين أنفسهم مقام فى صفوف الجيش فانصرفوا عن الجندية وشغلوا بالنعيم والترف والبذخ وامّحت منهم روح البسالة التى كانت شعار الجند المصرى .

***

فى ذلك العصر كان (قمبيز) ملكا على فارس وكانت عاصمته (سوس) وكان محبا للغزو والفتح وكان لا يزال يطمح فى غزو مصر ويتربص بها الدوائر ليجعلها قاعدة حربيـة فى غزو بلاد الغرب ولاسيما (قرطاجنه) التى اشتمل نفوذها سواحل البحر الابيض المتوسط

***

وتروى الأخبار هنا أنه قد خطب بنت (أمازيس) ملك مصر

لتكون زوجا له . فلما زفت اليه وتبينها عرف أنها ليست بنت (أمازيس) فغضب وجن جنونه ، وكان مصابا بالصرع والجنون المتقطع فما هو الا أن شرع فى غزو مصر لينتقم من ملكها الذى خدعه.

ويروى مؤرخو الاغريق أنفسهم أن أحد الجنود اليونانية واسمه (فانيس) كان قد انتظم فى سلك الجيش المصرى وارتقى الى منزلة القواد . ثم أبت له نجيزته إلا أن يخون مصر وملكها ففر الى فارس وأنهى الى قمبيز خطة لغزو مصر وأبان له عن أيسر السبل لفتح البلاد فشرع يتأهب للغزو . وقبيل زحف الجيوش الفارسية وردت اليه الأنباء بموت (أمازيس) وتولى ابنه (ابسمتيك) على عرش مصر

***

غزا (قمبيز) مصر برا وبحرا فهوجمت مدينة (الفرما) بحرا وزحفت الجيوش البرية و بعد مقاومة شديدة استولى الفرس على البلاد المصرية وأسر (ابسمتيك) وكان (قمبيز) أول عهده بالفتح متسامحا ، ولكنه عاد فحنق على المصريين فهدم المعابد والهيا كل وقتل بيده العجل (أبيس) أثناء أحد الاحتفالات الكبيرة ثم مات بعد ذلك .

حوادث الرواية

٣

أمكن « المؤلف » أن يحرص على وقائع التاريخ ، وأن يؤدى حقه غير منقوص ، ولكن تاريخ تلك الحقبة الغابرة لم يتأت له أن ينال من التمحيص العلمى ، ولا أن يعنى بحياة الاشخاص الذين عاشوا فيه عناية تدع لهم فى نفوس الناس صورة كاملة الالوان ، بل قنع واصفو التاريخ العتيق بصور يلقى عليها الناس أبصارهم متعجلين لا يحققونها ولا يعرفون منها ما وراءها غير أن « مؤلف » رواية تميز تلقى العناصر الأولى للحوادث وللاشخاص وهو « شاعر » سرى الخيال ، مرهف الاحساس ذو بصيرة نافذة وخبرة بالتصوير فما زال بحوادث التاريخ وأشخاصه يجلوها ويفصلها ، ويكمل ألوانها ، ويبرز خصائصها ويذهب الى ما وراء الظواهر فيتعمق فى الدراسة ليستخرج دقائق تلك الحياة النفسية والوجدانية التى اضطربت بها الافراد والجماعات فانشأت ما أنشأت من بطولة وغزو ونصر وهزيمة وحب

و بغض وعقاب وفناء . ونستطيع أن نوضح ذلك بمثال من صنيع المؤلف : —

تلقى المؤلف عن التاريخ « أن قمبيز » العاهل الفارسى كان من القسوة والعنف ، وكان من الجنون المتقطع بحيث هانت عليه الدماء والارواح ففى برهة واحدة من نوبات صرعه وجنونه يفتك باخته وأخيه بعد أن يكون قد روى الثرى بدماء العالمين هذا الى ما فتن به من الغزو والقهر وتوسيع رقعة ملكه شرقا وغربا .

تلقى « المؤلف » ذلك عن التاريخ فما زال يبرزه بفصول الرواية فى شتى الصور ، ومختلف الاشكال ، ولم يشأ أن تفارق شخصية « قمبيز » الحياة حتى يحضرها فى الساعات الاخيرة ما قدمته من سيء الأعمال ثم يشعرها بشناعة الآثام ، ثم يريها كيف يكون تأديب الاقدار . لكل طاغية جبار .

واذا تحدث التاريخ الى « المؤلف » بأن المملكة الفارسية قد انبسطت رقعتها ، وترامت تخومها ومع هذا تمزق هذا الملك العريض شر ممزق وتقلص ظله وشيكا .

يتلقى « المؤلف » ذلك ثم ينظر اليه النظرة الفاحصة الشاملة فاذا بتلك النظرة الشاعرة النافذة تجمع الاسباب والمقدمات وتجلوها فى ثلاثة أبيات من الرواية على لسان فارسى يقول :—

ليت شعرى فلست أدرى الى أىّ بلاد « قمبيز » يدفع فارس
قد فتحنا الفضاء شرقا وغربا وملكناه من عباب ويابس
اتسعنا من الفتوح ! يقينا غير أنا لم نفتكر بالحارس

ففى الشطر الأخير ركز المؤلف رأيه فى سياسة الفرس الاستعمارية ، وأسباب فشلها وتعفية آثارها .

وبعد فالمؤلف « شاعر » وفضل الشعراء على غيرهم أن يبعثوا فى الحوادث حياة ، وأن يفرغوا عليها ضياء ، حتى يَمضَ فى جنباتها ريق من النور فتبدو الحكمة ويبصّرون الناس منها بما لا يبصرونه.

الحياة المصرية

فى عصر الرواية

٤

استطاع « المؤلف » أن يصف الحياة المصرية وصف المؤرخ الصادق . وأن يصورها تصويراً دقيقا ، واستطاعت ريشته أن تلون مادق منها وماجل فلم تقتصر على ما هو بارز وناتىء بل تجاوزت ذلك الى ما هو باهت وخفى ومبهم . بل تعدت ذلك الى وصف النفسيات والأخلاق والعواطف المصرية .

وقد قدمنا ان سياسة « امازيس » قضت بأن يستكثر من أخلاط الأجناد ولا سيما الفيالقة اليونان ، فكانت المظاهر الاغريقية من أجل ذلك تكاد تطغى على الأصباغ والاوضاع المصرية حتى استنكر المصريون تلك الحال ، وبرموا بها ومقتوها . وقد صور « المؤلف » ذلك على لسان مصرى فى الوليمة الكبرى يقول لصاحبه :

تأمل القصر « منا » وانظره أرضاً وسما

أنظر تر الاغريق فيـــه هم لفيف العظما

ثم يقول مصرى آخر لصاحبه : —

تأمل القصر « خوفو » أفيـه من مصر شئ

أليس فرعون فيـه كأنه أجنـــبى

فأين حفـار مصر وفنـــه العبقرى

وقـد يبدو سخطهم على الاجنبى الدخيل فى حوار جرى بين فارسيين فى الرواية فاحدهما يطلب الى صاحبه أن يصف له ما لقيه فى جولته « بمنفيس » فيقول : —

..... كيف وجدت البـلد ؟

وكيف احتقارهم للغريب اذ قام فى شأنه أو قعد ؟

وكيف عيونهم حـوله اذ حملته احتمال الرمد ؟

***

وقد صور «المؤلف» ما يعتلج فى نفوسهم من هموم وآلام ، وما يخافون ويحذرون من اغارات الفاتحين ، وما يبدو على وجوههم من الريبة والشك فى هؤلاء الغرباء الذين ملؤا شعاب الوادى . فقال على لسان فارسى من رجال الوفد القمبيزى : —

تأمل (قباز) القوم وانظر وجوههم

وجـــوه عليها للهموم سحاب

ألست تراهم كلما نقلوا الخطى لهم جيئة من ريبة وذهاب

وهم مع هذا كرام للضيفان ، لا يألونهم حفاوة وترحيبا : —

ولكنهم ما قصروا عن ضيافة طعام ونزل طيب وشراب

فخرهم بجنسهم

وشاء « المؤلف » أن يبرز ما عرف عن المصريين قديماً من فخرهم بأنهم أبناء الشمس وأبناء الآلهة ، وأن هذا الخلق لم يفارقهم حتى وأن قعدت همتهم ، وأمحت بسالتهم : —

لهم مثل ما للأسد بالجنس عزة ضوارى الفلا عند الأسود كلاب

هم الشهب . والناس الجنادل والحصى

وتبر الثرى والعـــالمون تراب

فنونهم وآدابهم

أما فنونهم وآدابهم وحضارتهم وسلوكهم « فالمؤلف » يصفها على لسان فارسى فيقول : —

وكل الذى صاغوا من الفن آية ... وكل الذى قالوا هدى وصواب

وفارسى آخر يقول : —

ولم أر مثل صـــناعاتهم ... سمّوا وبعـدا على المنتقد

ولا مثل أخلاقهم مبلغاً ... من الفضل أو من خلال الرشد

اذا مر يافعهم فى الطريق ... بشيخ تنحى له أو سجد

. . . . . .

وآثار فن تروع العقول ... وأجساد موتى تعيش الأبد

الروح الحربى

كان الروح الحربيّ الى ذلك العهد قـد ضعف فى نفوس المصريين لـكثرة ما اندسّ فى الجيش فى اخلاط الزمن حتى لم يعد جيشاً مصرياً على الحقيقة . وقد انصرف المصريون عن الجنـدية الى حيث يستظلون بظلال الدعة والنعيم والرفه . فلما جاء وفد فارس قبل غزوة « قمبيز » وجاس خلال الديار لم يجد فى القوم بأساً ولا فروسية وانما رأى فى الجند المصرى صوراً وتهاويل وزخرفاً يتزين بها حراس القصور لا حراس القـلاع والثغور . وصف ذلك كله المؤلف وصفاً

دقيقاً فقال على لسان الفارسى الذى جال « بمنفيس » حين سأله رفيقه : —

ولكن (زفيروس) كيف الجنود؟ وكيف الحديد وكيف الزرد
وهل كنت تلقاهم فى الطريق وتنظر أظفارهم واللبد

فأجاب : —

أخى ما رأيت بمصر الجنود ولم يأخذ العينَ منهم أحد
سوى فتية من جنود القصور وضباطها فى الثياب الجدد
يروحون فى الخوذ اللامعات ويغدون فى الذهب المتقد

ويرد عليه الأول : —

اذن هو ملك بلا حائط رقيق الأواسى ضعيف العَمَد
خلا الوكر من صرخات العقا ب ونامت عن الغاب عين الأسد
أولئك لا فى حماة الديار ولا فى العديد ولا فى العدد
طواويس فى عرصات القصور تروق تهاويلها من شهد

وقد أبدع المؤلف فأودع فى صورة شعرية ، وفى بيت واحد حالة المصريين الحربية على لسان « فانيس » الذى كان قائداً فى الجيش المصرى وخانه وفر الى فارس : —

ان ورد السلم من كثرته نسيت أظفارها فيه الأسود

ثم فصل تلك الصورة فقال : —

حشر اليونان فى رايته وتراغى الزنج واندسّ العبيد

وغداً كل طريد لم يجد سبب الرزق . اتى الجيش يصيد

وعلى لسان « تيتاس » : — . . . . . (قتل النعيم حمية الشبان)

تلك الحالة النفسية للجيش التى وصفها المؤلف اضعفت فيه روح المقاومة ، ومهدت للفتح كما رأى المؤلف ذلك فقال على لسان الواصف الفارسى لمصر : —

فما انت راء سوى جنة هى الخلد أو طيفه فى الخلد

يهب عليها غدا عاصف من الفرس انى تمشى حصد

جو مصر السحرى

مصر دار السحرة ، وسحرها بهر العالم وجاء على الألسنة ، وفى الأسفار حتى الكتب السماوية وقد استطاع «المؤلف» ان ينقلنا اثناء الرواية إلى جو كله سحر وصور ساحرة . وكان سبيله فى ذلك ان أظهر على ألسنة الوافدين من الفرس ما احسوه فى أرض مصر ، وما غمرهم من هذا الجو ، الساحر . حتى لقد تحولت نفوسهم جميعاً إلى منبع

من منابع السحر ، وانطبعت فى اذهانهم خيالات الساحرين . فهذا فارسى يقول لصحبه وهم بمصر : —

يا صحب كيف ترى تقضون ليلكمو وكيف نومكمو فى هـذه الدار

فيجيبه صاحبه : —

اما انا فاذا استلقيت طوف بى شتى الخيالات من سحر وسحار

. . . . . .

ولا تزال بى الأرواح طائفة مناجيـــات بألغاز واسرار

و بلغ « المؤلف » أقصى ما أراده من جعل هؤلاء الفرس . وهم بمصر لا يستطيعون أن يصرفوا عن أنفسهم خيالات مصر السحرية لافى يقظة ولا فى منام فهذا فارسى أراد أن يقص على رفاقه ما رآه فى نومه من تهاويل وأخيلة فما يكاد يبدأ فى قص حديثه حتى يَسرى الرعبُ والخوف فى نفوس أخوانه من أن تحضرهم ساعة الحديث أرواح خبيثة وتستمع اليهم . ويقول له احدهم

صـــــه تكلموا بهمس

فيبدأ صاحب الحلم فى صوت خافت يقول — :

رأيت عصفورا برأسى انس
أقبل حتى صار عنـد رأسى
فما ملكت عند ذاك حسى
ثم صحوت فوجدت نفسى
منطرحا أغط فوق الكرسى

ذلك بعض ما قصد اليه المؤلف من تصوير هذا الجو السحرى بمصر وقـد وفق الى ابراز تلك الصورة فى غير موضع من الرواية ، وكان توفيقه عظيما باهرا .

صور تحليلية

لأهم أشخاص الراوية

٥

(قمبيز)

طاغية جبار

أبرز « المؤلف » تلك الشخصية الجبارة السفاحة ، وأبرزها عنيفة قاسية إذ يقول « قمبيز » نفسه : —

أنا قمبيز بن كسرى أنا جبار الوجود
وأنا النار أصولى وبنو النار جدودى
ويل فرعون ومصر من جنودى وبنودى

ويقول — :

أنا قمبيز بن كسرى أنا وحش أنا غول
لست « بالعجل » أبالى وعلى « النار » أبول

وإن تلك الصورة لترينا كيف تجرد هذا الانسان من كل ما يقيد وجدان الشعوب على اختلاف نزعاتها وعلى تباين فهمها لمعنى العبادة والخضوع ، والاعتقاد . . .

أما قسوته وشناعته فى أنفس الناس فقد تمثلت بمثل شتى ولكن يجمعها كلها الطغيان والجبروت . فهذا فارسى من رجال وفده الذى بعث به ليخطب له بنت فرعون مصر . سمع أرجافا فى المدينة (أن بنت أمازيس عروس المليك تأبى المضيا) فصاح — :

أتحت القبة الزرقا ء من يسخر بالشاه ؟

ورفيقه يقول له — :

من أمازيس؟ ماالأميرة مامصر ؟ أفى الأرض من « بقمبيز » يهزا

وما زال « المؤلف » يشكل تلك الشخصية شخصية « قمبيز » فهو تارة (وحش فى أهاب بشر) ثم يتحدث عنه المتحدث (أنه آدم بظفر وناب)

صرع وجنون

كان له نوبات صرع وجنون تغشاه فتصدر عنه أفاعيل تقشعر لهولها الأبدان فهو اما قاتل أخاه ، واما قاتل لأخته . وأراد المؤلف ابراز تلك الصورة فى أثناء الرواية اذ شرع يغتال أخاه وأخته فى ساعة جنونية .

وقد عظم الضجيج ، وعلا الصراخ ، وصاح المستغيث : —

العفوَ يا كسرى الصفحَ يا سلطان

أخوك . والنار ومجدها ما خان

وتقول الملكة : — (يا أسفا عاوده جنونه)

أما عوارض الصرع ومظاهره وملابساته فقد بسطها المؤلف وألم بها وأخرجها ماثلة فى قول « قمبيز » ساعة حلول النوبة به : —

قد رجع الصغير لى يا ليتـه لم يرجـع
ما بال عينى أظلمت مابال ساقى جمدت

وأروع ماصوره « المؤلف » ممثلا حال « قمبيز » بعد أن روّى الأرض بدماء المصريين ، وعاث فى مصر فسادا ، وقتل معبودهم « أبيس » ثم جاءته النوبة فاذا هو يهذى ويقول : —

الهى ماترى عيـــنى خيـالات وأشبـــاح
وقتلى قـد غدوا حولى وقتلى غـيرهم راحـوا
وجـرحى جـذبوا ثوبى وجرحى غيرهم صاحوا

***

هـذى عـواقب بغى هذا القصاص المتـاح
لابد من عدل يوم يرتد فيـه السـلاح

ويروع أحد الواقفين منظر قمبيز فيصيح : —

ويح « لقمبـيز » ويح له جنـا !!

عبد المتعال الصعيدى

وشاء المؤلف أن يطلع على ناحية من ذلك القلب القاسى ، فاذا

بها عامرة بالحب مأهولة بالود . لزوجه « نتناس » وليس ذلك ببدع فى سير الجبابرة القساة وقديما قال القائل

قسا فالاسد تفزع ان تراه ورق فنحن نجزع أن يذوبا

شرح المؤلف هذا المعنى الذى كشفه مستقراً فى قلب « قمبيز » فهو يخاطب « نتيتاس » : —

أما أحببتك الحب الذى أنت به أدرى
وفضلتك فى القصر على البيضاء والسمرا
وقدمتك فى الأزواج قبل الأخت من كسرى

اذن (قمبيز) كان يحب زوجه « نتيتاس » وما ساءه وجرح كبرياءه الا أنها أخفت اسمها وحقيقة أمرها عنه . ولقد بقى هذا الحب حتى آخر ساعات (قمبيز) وهو يودع الحياة ، وتلوح له أشباح السعادة الماضية فيحقق من خيالاتها خيال « نتيتاس » التى هامت على وجهها الى طيبه فيخاطب الشبح

شبح الملك الوا قى لعينىّ يلوح

شبح كالزنبق النا ... عم يغدو ويروح
ظهر الحسن عليه ... وسرى الطيب يفوح

***

تمثال نيتيتاس حوله مذاهبي ... أحبب بنيتيتاس والتمثال
ما باله القى علىّ سكينه ... وأراح وجدانى وأنعم بالى
زوجاه نيتيتاس ملكة فارس ... مالى حرمت حنان قلبك مالى ؟

الندم المرير

وعرض المؤلف لوصف اعقاب تلك الحياة التى ماجت بالبطش واهدار الدماء وخيانة العهود ، فاذا صورة للندم المرير تتجلى فى قول قمبيز — :

ياليتنى لم اسمع الواشى ولم ... أخرج حيالك من قديم ضلالى
قد ساء حالى فى غيابك فأرجعى ... هيهات بعدك . من يرق لحالى

***

بالله ياطيف الحبيبة قل لها ... خلفت (قمبزا) بأسوأ حال
صفنى لها تعسا كما شاهدتنى ... قد عادنى صرعى وجد خيالى

نيتتاس

هى التى اختارها « المؤلف » أميرة مصرية . رمزا لمعنى « التضحية » السامى اذ أرخصت حياتها ، وبذلت ما يضن به مخاطرة لحماية وطنها وحياطته . واختارها « المؤلف » أيضاً بنتاً لفرعون مصر المقتول « ابرياس » الذى فتك به (أمازيس) الفرعون الجالس على العرش .

فى تلك الشخصية الخيّرة أرانا المؤلف النفس الفاضلة يعرض لها ما يعرض للنفوس البشرية من هنات ونقائص ومع هذا فان الذى يغمر تلك الهنات والنقائص ويطهّر مكانها ، ويضعفها أو يمحوها هو المعنى العلوى الاقدس — هو « التضحية »

هـذا المعنى ما زال « المؤلف » يبرزه ويوضحه ويؤكده فى النفوس كلما لاحت « نيتتاس » حتى ظفر بما أراده ، ووفق الى ما قصد اليه .

فحيثما رأيت (نيتتاس) فى موطن من مواطن الرواية ثم قداسة

الاوطان ، وثم فضيلة الفداء وهى الشىء الذى تشرف به الانسانية ، وانك لشاعر بحرب فى أعماق سرائرها بين ما اختصت به من فضيلتها العليا وبين ما قد يعلق بالنفوس من حقد و بغض وكره ولـكنك ترى الغلبة للفضيلة وترى نزوات الهوى ، ونزغات النفس قـد تقلصت وغلبت على أمرها .

التضحية بالنفس

عنى المؤلف بأن يصور « نيتتاس » مثالا لها من أول الرواية الى آخرها فهى تخاطب « نفريت » : ـ

أتيت لافدى بنفسى البلاد وأرفـع عن مصر شر العجم

وهى تخاطب فرعون أمازيس

جئت أفدى وطنى من سيف « قمبيز » وناره

جئت أفدى وطنى من دنس الفتـح وعاره

وهى ترد على تثبيط المثبطين لها ان تدع ملاعب الصبا ، وتسافر إلى الفرس — :

ومالى لا أعطى الحياة اذا دعت بلادى : حياتى للبلادى ومال

وهى وسط الضجه المرحة ، والكؤوس المترعة ، تخاطب نفسها :

أفيق بنت فرعون فما يزكو بك السكر

. . . .

ولكن بين جنبيّ هوى اولى به مصر

وتقول (لقمبيز) وهى تصده عن غزو مصر — :

تغير انت وتغزو ويحفظ الله مصر

ويجيئها وهى بفارس رسل من مصر فتضرع إلى ربها قبل أن تعرف ما وراء الرسل وتهتف — :

(وطنى يا رب لا مسّ بشرّ)

ويخبرها الرسل إن (امازيس) فرعون مصر قد مات وارتقى العرش ابنه (ابسمتيك) فتهتف — :

(تعيش مصروتبقى)

ويحل الطاغية الفارسى بمصر فيهلك القائم والحصيد ، ويقتل ويبيد ، واذ هو يقضى فى رقاب المصريين ، ويسومهم الخسف وسوء العذاب

تواجهه (تتيتاس) وهو فى سورة غضبه فيسألها ماجاء بها فتقول :

أتيت انقـذ قومى وموطنى من عذابك

وآخر صورة من صور تلك (التضحية) الفريدة — : انها وقد استيأست من (قمبيز) ولم تجد منه ما تخاطبه من عقل أو فكر راحت هائمة إلى طيبة تثير النفوس ، وتجمع القرى وتقول — :

والآن الى طيبة والصعيد لحشر الدعاة وحشد الجنود

وقهر العـــدو وارغامه وقذف المغير وراء الحدود

***

الضغينة والحقد

« نيتتاس » بنت ملك . قتـل أبوها خيانة وغدراً . وجلس قاتله على عرشه ، فليس عليها أن هى حقدت على قاتل أبيها ، وأسرت له الضغينة والحفيظة . غير أنها لم تكن مسرفة فى حقدها ، ولا طائشة فى عدائها بل شاءت نفسها الحكيمة أن تفدى عرش مصر وأن كان الجالس عليه قاتل أبيها .

تبدوا حفيظتها على الملك (أمازيس) اذ تخاطبه : —

ليس بين ابنة وساقى أبيها غصة الموت من سلام وردّ
ان حقدى عليك دين و بر رب لا يذهب العقوق بحقدى

ويعجب بها فرعون اذ تقدمت للفداء فيتحبب اليها بقوله : —
(بخ ! بخ ! بنت أخى) فتجيبه (أنت يا قاتل : عمى ؟؟)

وتخاطبه مستهزئة : — (تقتلنى مثل أبى)

وتناديها (نفريت) ابنة الملك : تيتاس أختى ؟
فترد قولها : — أختها ما أضلها ! متى كان بيتى مجرمين وآلى ؟

الحب

أحبت (نيتتاس) أصدق الحب وأوفاه . فلم يشب هواها القديم (بتاسو) رثيث ولا وهن ، أحبته اذ هى بنت فرعون القائم على العرش ولم تكن تدرى أنه : —

يعشق الجاه والغنى لا يحب الغوانيا

ولكنها رأته بعد أن حال حالها ، وثل عرش أبيها يصطنع غراما جديداً بابنة فرعون الجديد (فتاسو) فى رأيها :

(. . . . كالنحلة من زهر لزهر) أو

(. . . . كالنعمة من قصر لقصر)

وهى تأسى على هذا الغرام القديم ، وتنقم من (تاسو) هـذا العبث بقلوب العذارى فتخاطبه : —

لعبت بى فيما مضى عابثـا فالعب بغيرى اليوم كالعابث

أقسمت لى فاذهب فأقسم لها فأنت أهـل القسم الحانث

على أنهـا وهى تغاضبه وتعاتبه ، وتحاول أن تسلوه وتنسى حبه ما برحت تشعر بوقدة الحب ، وما برحت تناجى نفسها (بتاسو) وعهود (تاسو) . وتخاطبه على طول النوى ، وبعد الشقة : —

(ان غبت عن عينى فانـ ـت فى سـوارح الفكر)

وتراجع وصيفتها التى تنهاها عن ذكر هذا الغادر : —

(أنا أفـديه يا تتـا بحياتى وان قتل)

ثم تعلن رأيها فى الحب بجلاء فتقول : —

(ما الحب الا التضحية)

***

اكبارها لزوجها

لما أبرز المؤلف تلك الصورة على خير مثال ، جمع فيها ما تشتت من صفات الكمال الانسانى. (فنتيتاس) وان كرهت قساوة زوجها ، ونقمت منه غزوه لبلادها كانت معه مثال الزوج المنصفة فهى تكبر « قمبيز » اكباراً وتقول لوصيفتها : —

صدقت تتا . هو زين الشباب اله القنا قمر الغيهب
اذا غلبت فى القتال الملوك وفى السلم عز فلم يغلب
يسيطر كالشمس سلطانه على مشرق الأرض والمغرب

***

حزمها وعقلها

هى حازمة عاقلة فى الساعات العصيبة ، فلم يعزب رشادها وزوجها (قمبيز) يقذف بالحمم ، ويرمى بالشرر ليغزو مصر بل أخذته بالحكمة والاقناع وقالت له : —

(عد إلى الرشد ماجنت مصر يا قمبيز ما ذنب أهلها الآمنينا)

ثم طفقت تصده عن الغزو وتنذره عواقب الحرب ببراعة المنطق فهى تخاطبه : —

(وأغبى الناس منشمر لحرب توقع أن يصيب ولا يصابا)

وبعد هذا تصعب عليه اجتياز الطريق الى مصر وتثير فى نفسه التنبه والحذر فتقول : —

(وأخشى أن يقول الناس زوجى غداة ذهابه نسى الأيابا)

حنوها وتعطفها

فى ساعة الضنك والغضب وقد اشتدت الملاحاة بينها وبين زوجها لم تغفل عن أنها زوج فجاشت نفسها بأنبل العواطف نحو زوجها الذى جاءه الصرع وهو يغلظ لها فى القول فحنت عليه ، وأخذت تبتهل الى الله بشفائه : —

يا ويح زوجى ويحه هاج وعاده الصرع
يا نار كونى حوله أدركه يا آمون رع

فخرها بجنسها

أبرز « المؤلف » تلك الصفة فى « نتيتاس » فى مواضع شتى وهى بلا مراء صنو لصفة (التضحية) فان اعجابها بوطنها وتقديسها

لأجدادها قد نمى فضيلة التضحية فيها من أجل الوطن والجدود .

فهى تارة : —

(بنت الشمس بنت العواهل الأرباب)

وهى تتحدث عن نفسها فتقول : —

(والدى فى السماء فهو إله) وتقول : —

(أنا بنت الملوك أصلح للملك جدودى تملكوا العالمينا)

الاباء و العزة

لم يفارقها اباؤها ، ولم تندّ عنها عزتها اذا ما اجترأ عليها عظيم ولو أنه زوجها الجبار فاذا خاطبها متوعداً : —

(احذرى أيها الفتاة انفجارى) أخذتها العزة فاجابته : —

(انفجر . مابى انفجارك مابى)

وتعالج الوصيفة عزتها لأخضاعها واذهاب غضبها وتقول لها : —

اكظمى الغيظ ياأميرة . . .

فتجيبها فى أنفة وكرامة وفى وجه « قمبيز » : —

(. . . . . بل يخرج من حجرتى ومن محرابى)

(نفريت)

ابنة « امازيس » فرعون مصر وهى التى أريدت على أن تكون زوجا « لقمبيز » ملك الفرس . فأبت أن تزف اليه وهى تعرف مافى رفضها من الويلات والخطوب التى تحل بأرضها وأوطانها ، وقد أخرجها « المؤلف » صورة للانانية والأثرة ليجمع أمامنا ما بين الصورتين صورة (تيتاس) صورة الفداء المحبوب ، وصورة « نفريت » صورة الأثرة البغيضة .

الأثرة والأنانية

« نفريت » تعلم أن قمبيزا أرادها زوجة له ، وان فى رفضها المسير اليه ويلات ونكبات تحل بمصر لكنها تقول : —

(.... اعتزمت البقاء وفى ظل هذى الحجر)

ويتجلى استخفافها بالأمور وبعدها عن مثل الحياة العليا اذ تقول :

لتحسف بقوم عليها البلاد ليستأخر النيل أو ينفجر
فأما أنا فسأبقى هنا وان غضبت فارس والنمر

المرح والعبث

وهى فتاة مرحة غريرة يلعب بقلبها (تاسو) حارس الملك أبيها

كما لعب من قبل بحب (نيتتاس) فاذا رأت تاسو يتحدث الى فتاة أخذتها الغيرة وشرعت فى تأنيبه : —

تاسُ من أين ومَن كنت من الغيد تحدث ؟؟

وهى تراه فتبدهه : —

(تاسو هنا . هات اسقنا ! !)

يقظتها وحكمتها

وهى إلى مرحها يقظة حكيمة . فقد أظهرها « المؤلف » مغلوبة على أمرها ، لنوازع صباها ، وضعف همتها . فاذا استيقظت الى موقف (نتيتاس) بدت حكمتها تطرى ما فعلته الفتاة فتقول : —

(لله ما أعظمها عندى وما أجلها)

الم تصبر عن الوطن المفدى وتسمح بالديار والشباب

وترض بان تزف غدا مكانى إلى النمر الأمير على الذئاب

خطبتها وندمها

و بدت « نفريت » تعرض من أعمالها ما كان ذريعة لغزو بلادها وأسر أخيها (ابسامتيك) فندمت ، وراحت تعترف بانانيتها وأثرتها:

ويحى لقد أودت بى الأنانية
عشت فما أحببت الا ذاتيه
ولا افتكرت بسوى لذاتيه
حتى قذفت وطنى فى الهاويه

وقد شاء « المؤلف » ان يودعها من تلك الحياة بالعطف الذى يغمر المنكوبين والنادمين فغسلها بماء النيل من أدران انانيها — :

يا نيل يا قوام كل شئ
ومانح الحياة كل حئ
هئ اغسل الذنب العظيم هئ

(تاسو)

هو حارس فرعون ، وهو فتى يرى لذات الهوى فى التنقل ، فلها أولا بقلب (تتيتاس) ثم ثنى بقلب (نفريت) وقد صوره المؤلف نمراً قصير النظر .

قصر نظره وغباؤه

وليس أدل على قصر نظره ، وضعف تفكيره . وغباؤه من ظنه أن يكون له خلوات (بنفريت) فى قصر (قمبيز) بفارس بعد أن تصير زوجة له كما يلتقى بها فى مصر وفى قصر أبيها ويعجب : —

لم لا ؟ أليس فى القصور سعة نحن هناك مثل ما نحن هنا

وترده نفريت الى صوابه : —

(هذا الغباء منك تاسو عجب ليس المكانان على حد سوى)

ضعف همته

ثم هو ضعيف الهمة فقد كلفه فرعون ليجيب الوفد الفارسى الذى خطب يوم الحفل ابنة فرعون فلم يستطع الكلام واعتذر عنه : —

(سيدى مَن أكون ! مولاى عذرا)

قليل الوفاء

وهو يجازى وفاء (نتتاس) بالكفران والجحود ، ولا يدرك جلالة الفكرة التى بعثتها على أن تدع بلادها ، بل يتعجل بعدها عنه فيقول : —

غداً تخلو لنا مصر غدا يصفو لنا القصر
غداً ترحل لا أرجعها السبر ولا البحر

تكفيره عن آثامه

تلك الصورة المنكرة المنبوذة أراد « المؤلف » أن ينتهى أمرها الى التكفير عن الآثام ، والندم على مافرط . فأحيا « المؤلف » فيها ما أماتته نزوات الشباب ، وغرارة الصبا ، وشهوات الجاه ودنسه ،واطلع منها آخر الرواية صورة (لتاسو) ناقمة حاقدة على الأجنبى المغير الذى يبطش فى مصر بطشاً ، جعل (تاسوا) : —

.... يثير البلاد ويغرى القرى باغتيال الجنود

فيفتك به (قمبيز) وقد رضى عنه وطنه وصفح على لسان (نتيتاس) التى تراه يموت فتقول : —

هذه ميتة عز امضى تاسو بسلام
قد صفحنا لك عن ذا لك التجنى والأثام

4503

William Watson Smith
Class of 1892
Memorial Fund

WERT
BOOKBINDING
Grantsville, Pa.
July—Aug. 1987
We're Quality Bound

Princeton University Library
32101 077894929